الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

أدبية الرحلة الخيالية بين الواقعي والعجائبي رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ (أنموذجا)

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد:

- فريال بن عيجة

- مريم بن حراث

تحت اشراف:

د.يمينة تابتي

السنة الجامعية:2019 – 2020

شكر وتقدير

الحمد الله الذي وفقنا على إتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصحة والعافية والعزيمة، فالحمد لله حمدا كثيرا.

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة " يمينة ثابتي " على كل ما قدمته لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبه المختلفة، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل أعضاء اللجنة التي ستناقش هذا العمل، وإلى كل من وقف معنا ودعّمنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا البحث بجهوده ووقته ودعائه، دام ودمنا معه أوفياء.

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسل

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني، إلى من كان دعاءها سر نجاحي، إلى أغلى الحبايب أمي الغالية أدامها الله لي.

إلى القلب الرحيم والرجل العظيم الذي لقنني دروس الفضائل إلى من علمني أن الدنيا صمود ومشاكلها دون حدود إلى من علمني أن الدنيا كفاح والعلم سلاح: والدي العزيز أطال الله في عمره.

إلى من أرى التفاؤل في عيونهم والسعادة في ضحكتهم، إلى من تربيت بينهم في كنف الأخوة والإخلاص أختي وإخوتي الأعزاء .

إلى شريك حياتي إلى من ساعدني ومنحني الثقة والإرادة، إلى أقرب الناس إلى نفسي: خطيبي عبيد.

إلى الأستاذة الفاضلة" ثابتي يمينة " التي كانت نعم المشرفة والتي قدمت لي يد العون بتوجيهاتها ونصائحها القيمة.

إلى كل من ساندني وساعدني أحلى التحيات.

إلى كل من يحبني في الله .

فريال

إهداء

لك الشكر ربي على فضلك الكبير وعلى فيض عطائك

إلى من ربياني صغيرة، وأتمنى أن أنال رضاهما وأنا كبيرة

إلى التي لونت عمري بجمالها وحنانها وعجز اللسان عن وصف جميلها وشملتني بعطائها ورعايتها أمي الحبيبة.

إلى أغلى حبيب وأعز إنسان على قلبي إلى الذي أفنى حياته جدا وكدا في تربيتي وتعليمي إلى الذي كان سندي الروحي ورافقني في مشواري " أبي " الحبيب.

إلى إخوتي وأختي، إلى كل الأهل والأصدقاء، إلى من تقاسمت معها هذا العمل المتواضع صديقتي " فريال ".

إلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني .

مريم

مقـــدمـــة

مقدمة: استطاعت الفنون الأدبية بمختلف أشكالها أن تعبّر عن الواقع وتجسّد آمال وآلام الإنسان عبر الزمن، ومن بين هذه الفنون التي استطاعت أن تكتسب مكانة مرموقة عالميا، "فن الرواية" لتنوع موضوعاتها وأهدافها وتقنياتها السردية والحكائية.

تندرج بعض الروايات والقصص تحت ما يسمى بـ "أدب الرحلات"، لتميزها من حيث البنية والموضوع وطريقة السرد، ذلك أن مضمونها يتعرض لمختلف نواحي الحياة، حيث يوثق ويعكس كل ما يصادف الرحالة خلال رحلاته، فالرحالة أو الكاتب ينقل كل ما يواجهه أو يتعايش معه في رحلته، فنجده يتحدث عن الأماكن التي حل فيها ومدة مكوثه بها والمواقف التي تعرض إليها، لهذا يعد أدب الرحلة وثيقة هامة بالنسبة للباحثين، حيث يجد الكثير منهم الإجابة عن تساؤلاته فيه، باعتبار أنّ الرحلة شكلا من أشكال الحياة التي فرضتها الظروف، وأحيانا أخرى من أجل الفضول والرغبة في اكتشاف المجهول، وهذه الرغبة في اكتشاف المجهول والعوالم الخفية، دفعت بنا إلى الاطلاع على هذا النوع من الأدب والغوص فيما يكتنف الأحداث والشخوص والمكان والزمان من خيال يسبح بين ما هو غريب وعجيب.

لقد وقع اختيارنا على إحدى روائع نجيب محفوظ وهي رواية: "رحلة ابن فطومة" لما احتوته هذه الرواية من عمق وتشويق، حيث دفعتنا قراءة أحداثها إلى التساؤل والبحث عن:

- ماهية الرحلة وفيما تكمن أهميتها ودوافعها؟

- ما الهدف من رحلة ابن فطومة ؟

- ما هي الأبعاد الواقعية والخيالية في هذه الرواية؟

- ماهي الأبعاد الرمزية التي يسعى إليها نجيب محفوظ من خلال روايته؟

وعليه جاء عنوان الدراسة كالآتي: **أدبية الرحلة الخيالية بين الواقعي والعجائبي، رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ (أنموذجا)**

وللإجابة عن هذه التساؤلات استعنا **بالمنهج التاريخي والموضوعاتي** كونهما الأنسب لإبراز البنية العامة لهذا النوع من السرد، وذلك بالاعتماد على الخطة الآتية: مقدمة، مدخل وفصلين الأول نظري والثاني تطبيقي وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

تضمن المدخل تعريفا للرواية ونشأتها ومميزاتها، وتضمن الفصل الأول الموسوم بـ "**الرحلة وأدب الرحلة (المفهوم والمصطلح)**" خمسة مباحث؛ تناولنا في المبحث الأول مفهوم الرحلة ونشأتها قبل الإسلام وبعده وأهدافها ودواعي تدوينها، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لدراسة دوافع الرحلة وأهميتها وأنواعها، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى أسس أدب الرحلة ومميزاته، وفي المبحث الرابع مفهوم الواقع والخيال، أما المبحث الأخير فقد تناولنا فيه مفهوم العجائبي والغرائبي والفرق بينهما وشروط العجائبية عند تودوروف.

أما الفصل الثاني الموسوم: "**الواقعي والعجائبي في رحلة ابن فطومة**"، فهو فصل تطبيقي قمنا فيه بدراسة تحليلية للرواية، وقسمناه إلى خمسة مباحث: تطرقنا في المبحث

الأول إلى التعريف بشخصيات الرواية وفي المبحث الثاني وصفنا بنيتها السردية، وفي الثالث دوافع رحلة ابن فطومة وأهميتها وفي الرابع عجائبية وغرائبية المكان وفي المبحث الخامس تطرقنا إلى مظاهر الخيال في الرواية.

اعتمدنا في بحثنا هذا على بعض المراجع التي انارت لنا بعض الفاهيم الخاصة بالرحلة وأدب الرحلة نذكر منها:

– كتاب أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل.

–كتاب أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري لنوال عبد الرحمن الشوابكة.

– كتاب الرحلة في الأدب العربي لعبد الرزاق موافي.

وكأي بحث ينجز في فترة عصيبة، فقد واجهتنا بعض المشاكل والصعوبات أبرزها قلة المصادر والمراجع لصعوبة التنقل إلى الجامعة والمكتبات العامة، الناتج عن الانغلاق فترة انتشار الوباء، وكذلك قلة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل الذي وفقنا على اتمام هذا البحث فأنعم علينا بنعمته ورحمته، ونتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذتنا المشرفة يمينة ثابتي التي لم تبخل علينا بالنصح والإرشاد، وإلى لجنة المناقشة على قرائتها لبحثنا هذا وتصويب أخطائه.

مـــدخـــل

1- مفهوم الرواية:

تعد الرواية من أهم الأشكال النثرية التي شغلت اهتمام وفكر المبدعين ولقيت مكانة لدى القراء لأنها تعبر عن معاناتهم وآلامهم وتصوير واقعهم، ولهذا تعددت معارفها ودلالتها في المعاجم العربية كمصطلح، فقد عرّفها الفيروز آبادي في قاموس المحيط بقوله: " روي من الماء واللبن، كرضي، ريًّا ورِيًّا، وروى، وتروى بمعنى، والشجر تنعم، كتروي، والاسم : الرِّيُ، بالكسر وارواني، وهو ريان، وهي ريان، وهي ريّا، ج: رواء، وماءٌ رويٌ وروى، ورواءٌ، كغنيٌ وإلى وسماء، كثير مروي، والرواية المزادة فيها الماء، والبعير والبغل والحمار يستقي عليه. روى الحديث يروي رواية و ترواه بمعنى وهو رواية للمبالغة"[1].

وقال يعقوب " ورويت القوم أرويهم، إذا استقيت لهم الماء، ورويته الشعر ترويه، أي حملته على روايته، وأرويته أيضا، وروية في الأمر إذا نظرة فيه وفكرة، والروي: حرف القافية، يقال: قصيدتنا على راوي واحد، وأروي أيضا، سحابة عظيمة القطر شديدة الوقوع مثل السقي "[2].

---

[1]- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008 م، مادة (روى) ، ص 586 .

[2]- إسماعيل بن أحمد الجوهري: تاج اللغة العربي الحديث، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997، ج3، ص 10.

جاء في معجم الوسيط في باب الراء " (روى) على البعير ... ريّا: استقى. والقوم وعليهم، ولهم : استقى لهم الماء ...والحديث أو الشعر رواية : حمله ونقله فهو راو. (ج) رواة والبعير الماء رواية : حمله ونقله. ويقال روى عليه الكذب: كذب عليه. (الروي) من الماء ونحوه. ريّا، وريًّا، ورويٌ، شرب وشبع، ويقال: روي الشجر والنبت: تنعم فهو ريان، وهي ريانة. (ج) رواءٌ. (أرواه) : جعله يروي. روى فلانا الحديث والشعر: حمله على روايته. والحديث أو الشعر: رواه ...(الراوي): راوي الحديث أو الشعر: حمله ونقله. (ج) رواة. (الرواية): القصة الطويلة. (الرويُ) الشرب التام: يقال: شربة شربا رويا ... وفي (علم العروض): الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وإليه تنسب، يقال: قصيدة بائية: إذا كان راويها الباء"[1].

وجاء في مصباح المنير " روى من الماء يروي ريًّا والاسم الري بالكسر فهو ريان والمرأة ريّا ...، وروى البعير الماء يرويه من باب رمى حمله فهو رواية الهاء فيه للمبالغة ثم أطلقة الرواية على كل دابة يستقي الماء عليها ومنه يقال رويت الحديث إذا حملته ونقلته"[2].

---

[1]– إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، 2004 م، باب الراء، مادة (روى)، ص 384 .

[2]– أحمد بن محمد بن علي الفومي المقري: المصباح المنير، ط 1، دار الحديث، القاهرة، 2004 م، مادة (روى)، ص 149.

وفي لسان العرب لابن منظور " روى الحديث، والشعر يرويه رواية وترواه "[1] . وعرفها عبد المالك مرتاض بقوله: " فالرواية تقوم على التنوع والكثرة في الشخصيات في الملحمة أبطالا وفي الرواية كائنات عادية وهي تتميز بالتعامل اللطيف مع الزمن والخير والحديث، فهي إذن تختلف عن كل الأجناس الأدبية الأخرى ولكن دون أن تبتعد عنها كل البعد حيث تظل مضطربة في ظلها ضاربة في مضطرباتها "[2].

أما السعيد الوراقي فقد عرفها بأنها " تشكيل للحياة في بناء عضوي ويتفق روح الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث على نحو يجسد النامية صراعا دراميا ذا حيات داخلية متفاعلة "[3].

في حين عرفها ميخائيل بختين بقوله " الرواية فن نثري تخيلي طويل نسبيا وهو فن بسبب طوله ويعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة، والمغامرات المثيرة

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط 1، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، 1997،ج 3، ص 151 .

[2]– عبد الملك مرتض: في نظرية الرواية (بحث في تقنية السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998، ص 13.

[3]– السعيد الوراقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، د ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص05.

والغامضة أيضا، وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك لأن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية أوغير أدبية "[1].

2- **مميزات الرواية:**

أ- الكلية والشفوية سواء في تناول الموضوعات أو في الناحية الشكلية .

ب- قد تكون الرواية معبرة عن الفرد أو عن الجماعة أو عن الظواهر.

ج- ترتبط الرواية بالمجتمع وتقيم معمارها على أساسه .

د- الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات، وتجمع بين الأشكال الأدبية.

هـ- الرواية تجري في زمن الحاضر.

و- الأحداث في القصة تسرد وفقا لمخطط سببي وزمني تفسيري، أما الرواية فتركز على الشعور بكثافة الأحداث "[2].

3- **نشأة الرواية:** تعد الرواية من أهم الفنون الأدبية فهي دائما في بحث مستمر ومتواصل ويظهر ذلك من خلال تطورها عبر العصور.

---

[1]- **أمينة يوسف: تقنية السرد بين النظرية والتطبيق، ط 1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1997، ص21.**

[2]- **صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، ط 1، مخبر أبحاث في اللغة والأدب، الجزائر، ص 5-7.**

أ- عند الغرب: عرف فن الرواية في الأدب الغربية مع نهاية القرن السادس عشر ميلادي، وفي منتصف السابع عشر ميلادي ظهرت مجموعة من الروائيين في الأدب الفرنسي والإيطالي والإنجليزي، ولم تكتمل الرواية العربية كجنس أدبي مستقل، وتتميز بوجودها إلى في العصر الحديث عندما ارتبطت بالمجتمع أي عبرة عن واقعها، حيث ارتبط مصطلح الرواية بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر فحلت هذه الطبقة محل الإقطاع الذي تميز أفراده بالمحافظة والمثالية والعجائبية وعلى العكس من ذلك فقد اهتمت الطبقة البرجوازية بالواقع والمغامرات الفردية "[1].

أما في الأدب الفرنسي لم تظهر الرواية وتزدهر إلى في القرن الثامن عشر ميلادي، وكان يطلق على هذا العصر عصر العقل والتنوير حيث اعتمدوا على العقل للوصول إلى الحقيقة.

ب- عند العرب: عرف العرب الرواية وتطورها وهذا يعود إلى عاملين أساسيين: يتمثل العامل الأول في العودة إلى الماضي، أما العامل الثاني فيتمثل في احتكاكهم وتأثرهم بالغرب. ومن المتداول عليه عند العرب " أن البداية الأولى للرواية كفن حديثا، نشأ في مصر وكانت رائدة له ويظهر من خلال الروايات التي ألفت " رواية زينب " لمحمد حسين هيكل التي اعتبرت فتحا في الأدب المصري بل عدت أول رواية واقعية في الأدب العربي

[1] - صلاح مفقود، أبحاث في الرواية العربية، ص 5-7.

الحديث، وكذلك نجد رواية سليمان البستاني التي سماها " الهمام في زمام الشام 1870 ". ولهذا نرى أن الباحثين المصريين على الخصوص يجعلون من مصر سباقة في ميلاد الرواية أما بقية الأقطار فإنها عرفت نشأة الرواية بعد ذلك "[1].

أما عن الرواية العربية الجديدة فقد تمثلت في أعمال نجيب محفوظ خاصة في الثلاثية ولقد تحققت هذه الرغبة الكامنة في عمل نجيب محفوظ نفسه في كتابات جيل منتصف الستينيات الذي استطاع تمثيل التجارب الروائية في العالم وكتابة نصوص روائية كان واضحا منذ البداية أنها تنتهك الصيغة المحفوظة في الكتابة الروائية وتلمح تأثير الرواية العربية بشكل ما بالرواية الفرنسية الجديدة "[2].

جاءت الرواية الجديدة للكشف عن الواقع ووصفه، وكان بروزها نتيجة لعوامل عديدة وتكمن في تلبية للحاجات الجمالية الاجتماعية المستجدة، كما يدل بروزها على تطور المجتمع قدما نحو مزيد من العصرنة فالرواية الحديثة وعي فني متطور وتجسيد فعلي لمفاهيم أدبية نقدية جديدة تتصل بماهية الرواية وصلتها بالواقع وعلاقتها بالمتلقي "[3]، أما في المشرق فهم يربطون الرواية بعناصر القص الأخرى أي يقرون بأن للرواية جذور عربية

---

[1]– صلاح مفقود، أبحاث في الرواية العربية، ص 12 .

[2]– نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– شكري عزيز الماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، د ط، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلة الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1972،

ويظهر هذا من خلال ما جاء مبثوثا في كتب الجاحظ، وابن المقفع، ومقامات بديع الزمان الهمداني، والحريري .

وهناك رأي مخالف يرى بأن الرواية فن مستورد ومن هؤلاء إسماعيل أدهم ، الذي يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعا عن الأدب العربي في بنيته التاريخية ويراه شيء أوجده الاتصال بالغرب "[1]. " كما يرى البعض أن كتاب الطهطاوي له دور في إبراز الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، ويذكرون أيضا المويلحي وجورجي زيدان .

ج- نشأة الرواية في المغرب العربي: تطورت الرواية بشكل سريع في العصر الحديث رغم ظهورها المتأخر خاصة في القرن العشرين، ففي تونس كان لها بدايتين: الأولى تتحدد زمنيا مع ما هو في الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين، وتمثل هذه البداية أعمال محمود المسعودي "مولد النسيان" نشر بدوره في فصول من أفريل إلى جويلية 1945 لأنه لم ينشر في كتاب إلا عام 1974.

أما البداية الثانية للرواية التونسية كانت في نهاية الستينيات وتجسدها رواية الدقلة في عراجينها لتسيير خريف أب الرواية التونسية المعاصرة "[2] .

[1]- صالح مفقود: أبحاث في الرواية العربية، ص 11.

[2]- نفسه، ص 13.

أما في المغرب الأقصى فنشأت الرواية المغربية في الفكر الأول منذ القرن العشرين حيث ظهرت الرحلة المراكشية عام 1924 للأديب عبد الله الموقي .

أما الرواية الجزائرية فقد نشأت نتيجة للوضع الاجتماعي والسياسي المرير والقاسي لشعب الجزائري خاصة في الثورة ، حيث نجد الكثير من الأدباء ينشرون عن الثورة وصارت موضوعا متداولا بكثرة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية فقد كانوا يهتمون بالأحداث والوقائع أي بالأوضاع السياسية، دون الاهتمام بالجانب الجمالي وذلك منذ بروز الحركة الوطنية، التي تصنع الأولوية دوما للخطاب السياسي الإيديولوجي فلم يكذب أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية بقدر ما يهتمون بالدلالة السياسية والاجتماعية وكتاباتهم "[1]، " ولقد مرت الرواية الجزائرية بعدة مراحل ساهمت في ازدهارها ونضجها، فالرواية الجزائرية تشكلت بطريقة بطيئة ومستمرة أي أنها لم تظهر دفعة واحدة .

وتظهر مراحل تشكل الرواية الجزائرية من خلال واسيني الأعرج بقوله " هذه الرواية لها تقاليد قديمة التي تبدأ من المدارس الثلاثة " مدرسة الأكرونيك الأولى، والثانية أطلقت على نفسها " الجزائريون الجدد " وفي الأخير تأتي مدرسة الجزائر "[2]، "كل هذه المدارس حتى

---

[1]– مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر، د ط، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، دمشق، 200، ص 08 .

[2]– وسني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1986، ص 7.

وإن لم يكن لها قائد، إلا أنها قدمت مبررا لوجود الشكل الروائي في الجزائر، وساهمت أيضا في ظهور المدرسة الجزائرية ومن أبرز كتابها " محمد ديب " " وكاتب ياسين " "ومالك حداد " وغيرهم فهؤلاء أخذوا كل ذلك التراث وأضافوا عليه مضامين جديدة مضامين ثورية تحريرية"[1]، فكتابات هؤلاء الأدباء جاءت لتعبر عن الواقع القاسي والظالم، وعن القهر الذي يعيش فيه الشعب الجزائري من طرف المستعمر حيث نجد أعمال محمد ديب التي تجسد هذه المعانات وتظهر من خلال ثلاثيته التي تبدأ بالثورة " الدار الكبيرة " ويليها " الحريق" "والنول" فتسمى إلياذة الجزائر، وفي هذا القهر " إن الرواية الجزائرية المكتوبة بالغة العربية فهي من مواليد السبعينيات ومن أدبائها " أحمد رضا حوحو: عادة أم القرى " بعد ذلك ظهرت روايات أخرى في الخمسينيات منها الحريق للكاتب نوردين بوجدرة وروايات أخرى"[2]. " وبقي هذا الفن يسير على هذه الوتيرة إلى أن جاء طاهر وطار وحاول إخراجه منها مع بداية الستينيات قد شهدت كفن ولادة ثانية وبقواعد جديدة فقد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق من الانجازات المختلفة في شتى الميادين "[3] .

---

[1]– السعيد الوراقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ص 15.

[2]– وسني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 8.

[3]– نفسه، ص 9.

4- **السرد:** يعد مصطلح السرد من أهم المصطلحات الموجودة والتي تعددت تعاريفها في المعاجم اللغوية كمصطلح ويظهر ذلك من خلال التعريفات الآتية:

أ- **مفهوم السرد لغة:** وردت كلمة "سرد" في لسان العرب بمعنى: " تقدمة الشيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضها في أثر بعض متتابعا، سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، فلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لما كان يسرد الحديث سردا، أي تتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه وسرد فلان الصوم إذا ولاه و تابعه "[1].

أما في منجد مختار الصحاح فقد ورد " س ر د " درع مسرودة و مسرّدة بالتشديد فقيل سردها: نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض وقيل السرد، النقب والمسرودة المثقوبة ، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له، وسرد الصوم تابعه وتوله في الأشهر الحرام الثلاثة سرد: أي متتابعة، وهي ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرم، وواحد فرد وهو رجب "[2]، كما ورد السرد في معجم الوسيط بمعنى " سرد الشيء تابعه وولاه ، يقال سرد الحديث، أتى به على ولاء جيد "[3].

---

[1]- **ابن منظور: لسان العرب، مادة سرد، ص 165.**

[2]- **الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، دار الجبل، بيروت، 1987، ص 194، 195.**

[3]- **إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص 426.**

أما في معجم مقاييس اللغة فالسرد " هو كل ما يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض"[1] .

ب- مفهوم السرد اصطلاحا: عرّف حميد الحمداني السرد بقوله: " السرد هو الطريقة التي تروي بها القصة عن طريق قناة الروي والمروي له. وفي رأيه أن القصة لا تتحدد بمضمونها فحسب ولكن بالشكل والطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون "[2] .

أما سعيد يقطين فيعرف السرد بقوله " فعل لا حدود له يتسع ليشمل الخطاب سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، ويصرح رولان بارت قائلا : "يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية، وبواسطة الصورة الثابتة أو متحركة وبالحركة بواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد، إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثولة والحكاية والقصة "[3]، في حين أقر صلاح إبراهيم أن السرد "هو

[1]- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ط 1، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1991، ص 157.

[2]- حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ص 45 .

[3]- سعيد يقطين: الكلام والخبرة مقدمة السرد العربي، ط 1، المركز الثقافي، بيروت ، 1997، ص 19.

طريقة الراوي في الحكي أي تقديم الحكاية، والحكاية هي أولا سلسلة من الأحداث، إنها المادة الأولية التي نبني منها السردية، أي أنها مضمون الحكي وموضوعاته "[1].

ج- أركان السرد: ونقصد بها المكونات الأساسية التي لا وجود للسرد بدونها، ويمكن أن نطلق عليها تسميات مختلفة منها: الراوي والمروي والمروي له، السارد والمسرود والمسرود له، المرسل والرسالة والمرسل إليه.

5- الراوي: هو الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أم متخيلة ولا يشترط في الراوي أن يكون معينا ويكفي أن يتقنع بصوت أو يستعين بضمير" [2]، والراوي هو الشخص الذي يضع قصة، وليس هو الكاتب بضرورة في التقليد الأدبي بل هو وسيط بين الأحداث ومتلقيها "[3].

6- المروي: المروي أي الرواية نفسها التي تحتاج إلى راوي ومروي له أو إلى مرسل ومرسل إليه، والحكاية والسرد هما وجها المروي المتلازمان اللذان لا يمكن القول بوجود

---

[1]- صلاح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في رواية عبد الرحمان منيق، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 124.

[2]- عبد الله إبراهيم: السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، ط 2، المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، 2000، ص 252.

[3]- نفسه، ص 253.

أحدهما دون أخر "[1]، والمروي هو كل ما يصدر عن الراوي وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث يقترن بأشخاص ويؤطره فضاء من الزمان والمكان ، وتعد الحكاية جوهر المروي والمركز الذي تتفاعل فيه كل العناصر حوله "[2]، والمروي أو المسرود يكون دائما ضمن وعي مسبق لدى المؤلف ثم يختار السارد الأسلوب الأمثل لعرضه بوصفه رسالة لغوية "[3].

7- المروي له: هو الذي يتلقى ما يرسله الراوي سواء كان اسما متعينا أو مجهولا يقول "برنس " أن السرود شفاهية كانت أو مكتوبة، وسواء كانت تسجل أحداثا حقيقية أم أسطورية، وفيما تخبر عن حكاية أو تورد متوالية بسيطة من الأحداث في زمن لا تستدعي راويا فحسب إنما مرويا له أيضا والمروي له شخص يوجه إليه الراوي خطته وفي السرود الخيالية كالحكاية والرواية والملحمة ويكون الراوي كائنا متخيلا شأن المروي له "[4].

[1]- عبد الله إبراهيم: السردية العربية(بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، ص 253.

[2]- نفسه، ص 254.

[3]- سحر شكيب: البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، مجلة دراسات في اللغة العربية وأدبها، فصيلة محكمة، العدد 14، 2013، ص 03 .

[4]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية(بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، ص 254.

الفـــــصل الأول

الرحلة وأدب الرحلة

(المفهوم والمصطلح)

1- مفهوم الرحلة

جاء معنى الرحلة في لسان العرب لابن منظور "بمعنى الأشخاص والإزعاج. يقال رحل الرجل إذا سار وأرحلته أنا. ورجل رحول، و قوم رحل :أي يرتحلون كثيرا ورجل رحال: عالم بذلك مجيد له ... والرحلة من الإبل :البعير القوي على الأسفار والأحمال ... وناقة رحيلة أي شديدة قوية على السير ... وارتحل البعير رحلة سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل: وهو راحل من قوم رحل.

والترحال والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة والرحلة اسم للارتحال"[1] .

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس " رحل الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر يقال : رحل يرحل رحلة ... والرحلة الارتحال ...ورحله إذا أضعنه من المكان"[2].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ص 1609. 1611.

[2]- ابن الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص 497.

ونجد أيضا أن مصطلح الرحلة ذكر في القرآن الكريم مع تكرار المعاني نفسها وبهذا المعنى أشار القرآن إلى رحلتي الشتاء والصيف اللتان كانت قريش تقوم بها من أجل التجارة "**لإيلاف قريش(1) إلافهم رحلة الشتاء و الصيف(2)**". سورة قريش

يحمل لفظ "رحل" معان عدة، فقد جاء بمعنى " السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها كان يطلق على من انتقل من مكان لأخر. ومنه أخذ لفظ رحال وهو الشخص المنتقل من مكان إلى أخر"[1].

أما اصطلاحا فقد عرف الإمام الغزالي السفر والرحلة بأنهما: "نوع حركة ومخالطة " أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة "وفيه فوائد وله أفات والفوائد الباعثة على السفر لا تخلوا من هرب أو طلب، فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، وإما أن يكون له مقصد ومطلب "[2].

وعرفها صلاح الدين الشامي أيضا بقوله "إنجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الأخر ويأتي هذا الإنجاز

---

[1] – عواصف محمد يوسف نواب: الرحلة المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين)، دراسة تحليلية مقارنة، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص40.

[2] – ابن حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص713.

من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر وقد تكون الرحلة هوية تشبع حاجة الإنسان وترضيه وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه، ولكنها تكون في الحالتين استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل إلحاح للحركة والانتقال "[1]، وتجمع الرحلة بين "الدافع العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأنات دقيقة البحث في الأسباب والنتائج ببصيرة واعية "[2]، وعرفها بطرس البستاني بقوله: "إنها انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى أخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة "[3].

وعليه فإن الرحلة تحمل معنى واحد وهو الحركة والسير والانتقال من مكان إلى أخر، ويقوم بها شخص ما من أجل هدف أو سبب معين.

[1]– صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، في الكشف الجغرافي في الدراسة الميدانية، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 12.11.

[2]– محمد بن عثمان المكناسي: الأكسير في فك الأسير، تحقيق محمد علي الفاسي، د ط، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص1.

[3]– عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي، ط1، كلية الأدب جامعة القاهرة، 1995، ص 24 .

2- الرحلة قبل وبعد الإسلام

أولا- الرحلة قبل الاسلام:" تشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة نشطة، سافروا لها خارج أوطانهم برا وبحرا، وأغلب الظن أنهم عرفوا الملاحة والإبحار منذ القديم، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب إفريقية في شمالها وشرقها وأيضا في شرق الجزيرة حتى الهند وما وراءها "[1].

كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة مع العراق والشام و اليمن، وأن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا شاملا لها أو جامعا، اللهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر وكتب اللغة، وعن بعض هذه الرحلات يذكر القرآن الكريم رحلات قريش الشهيرة : "**لإيلاف قريش(1) إلافهم رحلة الشتاء والصيف(2) فليعبدوا رب هذا البيت(3) الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف(4) ". سورة قريش.**

كان السبئيون أقدم الأقوام العربية التي تخطت عتبة المدينة، وكانوا فينيقيي البحر الجنوبي، فقد عرفوا طرقه وتعرجات سواحله وموانيه، وامتلكوا رياحه الموسمية الغدارة فامتلكوا بذلك تجارته، خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل ميلاد المسيح، وكانت الانتصارات التي أحرزها عرب الجنوب انتصارات تجارية واقتصادية ن شأنها في ذلك شأن الفينيقيين ولم تكن الممالك التي شادوها دولا حربية وإنما كانت ممالك تجارية، ويمتد عصر سبأ الذهبي

[1]- **فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط 2، مكتبة الدار العربية للكتابة، القاهرة ، يوليو 2002، ص 25 .**

بين250 و115 ق.م على وجه التقريب، بعد أن ورثوا مملكة أقربائهم المعنيين وأصبحوا سادة على بلاد العرب الجنوبية، وكان خط التجارة الرئيسي في البحر الأحمر حينذاك يمتد من باب المندب إلى واد الحمامات على ساحل مصر الوسطى، ولكن سبأ اضطرت لما يلزم الملاحة في أنحاء هذه البحر الشمالية من أفات إلى افتتاح خطوط برية بين اليمن والشام، تحاذى ساحل الجزيرة الغربي و تؤدي إلى مكة والبتراء "[1].

ثانيا- الرحلة في الإسلام: كانت الأرض بالنسبة لبني البشر بمثابة المهد والبيت والحد، بل والمنشر والمحشر"[2]، حيث يقول الله تعالى: " **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى(55)** " **(سورة طه)** ويقول " **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم إنّ ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم(165)** "**(سورة الأنعام)** ويقول " **ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم معايش قليلا ما تشكرون(10)**" **(سورة الأعراف)** ويقول " **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون(14)**" **(سورة يونس)**.

لما كانت الأرض بالنسبة لبني البشر بهذه المكانة فقد تكررت دعوة الله لعباده بالمشي في مناكب الأرض ، ليروا عجيب صنعه، وباهر قدرته من الآيات البينات وما أودعه فيها من معادن ونبات وحيوان وأجواءها، هذا فضلا عن النظر إلى آثار الأمم الماضية لكي

---

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص26.

[2]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة وأنواعها وأدبها، ط 1، مكتبة الدار العربية للكتابة، القاهرة، 1992، ص 16.

يستطيعوا الوقوف من خلال ذلك على القوانين التي يجريها الله في هذا الكون من نحو إهلاك الظالمين، وتمكين الصالحين واستخلافهم، يقول الله تعالى " وعد الله آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "[1] .

ذلك لأن الحياة في رحاب الصالحين تعني الرحمة الحانية الباقية التي تجعل دنيا الناس بردا وسلاما، فضلا عن أنها تحمل في طياتها الاستمرار والاستقرار، وهذا يعكس الحال إذا ما ولى الصالحون، الذين يصدرون عن مناهج هدامة تحيل الحيات جحيما لا يطاق، الأمر الذي يقصر أجل الأفراد فضلا عن تقصيره أجل الحضارات وإن طالت، فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق قيام الساعة "[2].

لقد دعى الله تعالى في مواضيع كثيرة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض نذكر من ذلك قوله تعالى: " **قل سيروا في الأرض ثم أنظروا كيف كانت عاقبة المكذبين(11)** "سورة **الأنعام** ، وقال أيضا " **لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من طيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(41)** "سورة يس .

---

[1]– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة و أنواعها وأدبها، ص 16.

[2]– نفسه، ص 17.

هكذا توجه الله بدعوة صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيدا وقد كانت تلك الدعوات تشجيعا لهم على تحمل مشاق السفر "[1].

انتفاعا في البداية بالخيرات ثم بعد ذلك تدريبا على حمل الرسالة ونشر الدعوة ولن تبلغ الرسالة كافة الخلق إلا بالسفر وقطع مسافات والطواف بالأمصار شرقا وغربا "[2].

وكانت احد أسس الإسلام الخمسة هي حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا وقال سبحانه في سورة الحج " **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق(27) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات(28)** ". **الحج**

وشجعت الدعوة الإسلامية على طلب العلم وحرضت عليه وقدرت العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى طلب العلم ولو في الصين فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان ثقة وإيمانا بأن من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وقد طلبوا العلم في الدين وفي غيره "[3].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " رواه الترمذي وفي خبر أخر " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له

[1]– فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 30.

[2] – نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– نفسه، ص 31.

طريقا إلى الجنة " لذلك اندفع محبو العلم وطالبوه، كأنهم يندفعون إلى الجهاد أو الشهادة ينفقون ما يقدرون عليه من مال ووقت وجهد لأجل تحصيل العلم ولم يكن للعلم من سبيل إلا السفر"[1].

وتهدف الرحلة في الإسلام إلى وجوب تسلح المرأ بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجردة والعبر الواقعية، ذلك لأن أوامر القرآن الكريم هادفة وهادية: فضلا عن كونها مبرأة من اللغو و العبث "[2].

3- أسباب تدوين الرحلة: كان السبب وراء تدوين الرحلة هو تلبية رغبة الآخرين، من حكام وأصدقاء أو أقارب لأجل إمتاعهم بالإطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة ودهشته وفرحته، وتقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف والعلوم، والتعريف بالأعلام ومؤلفاتهم، وكذا التعريف بالبلدان والممالك التي زارها وتحديد الطرق والمسالك وبين مواقع الخطر والمشقة حتى يستفيد الآخر منها، وأيضا من أجل التأريخ للأحداث المتنوعة وتقديم معلومات سياسية واقتصادية عن البلدان المقصودة في الزيارة وسرد أخبار الأمم والأقوام، ماضيها وحاضرها من عادات وتقليد وطقوس والرغبة في المشاركة في أدب الرحلات عن الرحالة وتدوين أخبار رحلته على منوال ما دونه السابقون من أمثال المسعودي وابن

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 32.

[2]- نفسه، ص 31.

بطوطة"[1]، وقد كانت التجارة أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البريةوالبحري.

4- دوافع الرحلة: لقد عرف الإنسان منذ القديم بحبه وتحمسه للرحلات ولكن هذه الرحلات تختلف من شخص إلى أخر ومن مكان إلى أخر فلكل شخص دافع وراء قيامه بهذه الرحلة، ولذلك حدد الدارسين بعض دوافع الرحلة المعروفة نذكر منها :

أ- **الدوافع الدينيةَ:** "أهم بواعث الرحلة وأغمضها شأننا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلا عن تأديته الفريضة فوائد جمة منها التوبة وتطهير النفس من الذنوب والدنس أملا في المغفرة والالتقاء بمعظم علماء وفقهاء العالم الإسلامي ومنها المجاورة ثم التجارة التي يجني من وراءها النفع و الكسب ،ومن العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام هو جمع الحديث من أفوه الرواة "[2].

ب- دوافع علمية: شكلت الرغبة في الاستزادة من العلم وطلبه في منطقة أخرى من العالم وفي عدة مجالات من العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القاهرة ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع

---

[1]- سمير أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 34 . 35.

[2]- أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، د ط، دار البيان العربي، جدة، د ت، ص 13.11.

به أو مجرد التحقق من كلمة فيه وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي وابن منده والأحنف العكيرى الشاعر، ولا نملك لمثال هؤلاء حصرا فما أكثرهم وقبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية "[1].

ج- دوافع اقتصادية: "كانت التجارة منذ قديم الزمان أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد والسعي في سبيل الكسب برا وبحرا، فالعالم العربي بحكم توسط موقعه بين قارات العالم القديم ،كان مركز التقاء الطرق التجارية بين هذه القارات فمارس العرب الترحال وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وأبحرت سفنهم في مياه المحيطات الكبرى "ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان لكم رحيما "[2].

هـ- دوافع سياحية وثقافية:" كان هدف بعض الرحلات البحث عن الحرية والتطلع إلى ما وراء الحيز المكاني حيث المهم هو السفر لا البلد الذي نرحل إليه، وحب الاطلاع والرغبة في اكتشاف المجاهل والأصقاع، و المتعة في الانطلاق من تلك الأصقاع إلى مجاهل أخر وأصقاع جديدة، والابتعاد عن المألوف إلى الانطلاق إلا الأوسع وكل جديد"[3].

---

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي ، ص 29 .

[2]- نوال عبد الرحمان شوابكة: آداب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، د ط، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ص46.

[3]- نفسه، ص 50.

هذا الدافع يشير إلى أن المكان الذي نرحل إليه ليس المهم وإنما الحرية وقدرة التطلع على ما هو جديد هو الأساس وراء القيام بهذه الرحلة.

و- دوافع صحية: وتتمثل في السفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء طاعون أو تلوث وأياما كان الغرض من الرحلة فإنها في أغلب الأحول سلوك إنساني حضاري يؤتى ثماره النافعة على الفرد والجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليس الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها "[1].

إلى جانب هذه الدوافع المعروفة التي ذكرناها هناك عوامل أخرى تطرق إليها عبد الرزاق الموافي وتكمن هذه الدوافع فيما يلي:

- قد تكون الغيرة الشخصية أو طلب الشهرة من دوافع الرحلة.

- قد تصبح الرحلة داء لا يمكن الخلاص منه، فيطلق على صاحبها اسم "الجوال " أو"الجوالة " وقد حظي بهذا اللقب مسلمون كثيرون .

- اعتبار الرحلة مصدرا حيا من مصادر زيادة الخبرات، فإن كثيرين يلجئون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحيات في مختلف الظروف .

[1]- **فؤاد قنديل: آداب الرحلات في التراث العربي، ص 20.**

قد تكون الظروف التي تمر بها الدولة سببا في الرحلة، خاصة أبان قوة تلك الدولة وازدهارها الحضاري مما يحفز مواطنيها على رؤية البلاد الأخرى"[1]، " كما أشار أيضا في كتابه المعنون بالرحلة في التراث العربي إلى وجود فارق أساسي بين دوافع وأسباب الرحالة القدماء ودوافع وأسباب الرحالة المحدثين، ويتمثل هذا الفرق في انبهار القدماء بكل ما هو من عمل الإنسان وإغفالهم للطبيعة، بينما الرحالة المحدثون كل ما قد تتدخل فيه يد الإنسان بالتعديل أو التحريف إنهم يبحثون عن كل ما هو بكر وفطري وبدائي "[2].

5- أهمية الرحلة : الرحلة سلوك إنساني حضاري موجود منذ أقدم العصور، وهي وسيلة تمكننا من معرفة مختلف العلوم والثقافات، فعن طريق الانتقال من مكان إلى أخر يستطيع الباحث الاطلاع على مختلف الأمم ومعرفة عاداتهم وتقليدهم وتصوير حضارتهم بما فيها من فوائد ويكتشف ما تحتويه البلدان الأخر من عجائب المخلوقات، وبذلك يكون قد ثقف نفسه وأفاد غيره حيث أن الرحلة تعد ذات أهمية كبيرة في تنمية درجة الفكر والثقافة لدى الباحث والقارئ وغيرهم وتكمن هذه الأهمية في قيمتها العلمية والأدبية، "حيث أن القيمة العلمية تتمثل بتزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعادتهم وتقليدهم والحوادث الغريبة، بل الرحالة أنفسهم يحصلون على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية

---

[1]- **عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 29.28 .**

[2]- **نفسه، ص 30 .**

وأساليب التعليم والتهذيب، نظرا لما يصادفهم من المصاعب وتعدد من يقابلونه وما يؤكد ذلك أن الرحالة حين يعمل في التدريس كان يكلف بالقضاء ومهام أخرى "[1]، إذن الباحث العلمي يدرس المكان كما يراه وبدقة لا يغير فيه ولا يدخل أحاسيسه وعواطفه إنما يصف بدقة .

أما القيمة الأدبية تظهر عندما يحتفل الكاتب بالأساطير والخرافات وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغ حد كبير من الدقة، علاوة على ما قد يستعين به أحياننا من أسلوب قصصي سلس ومشوق وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتب متعة ذهنية "[2].

فالقيمة الأدبية تكمن في مدى قدرة الباحث على وصف الأشياء التي رآها وتوصل إليها بأسلوب أدبي مؤثر ومشوق وذلك عن طريق تدخل مشاعره وعواطفه حيث أن غايته لا تتوقف في إيصال المعلومات مثلما هو الحال عند الباحث العلمي وإنما أرد أن يؤثر في القارئ هذا ما جعله يستخدم أسلوب قصصي مشوق.

"قد يتبع الباحث الأدبي النهج العلمي ولكن بأسلوب أدبي بحيث لا يطغى أحدهما على الأخر، وبحيث تطل شخصية الرحال بين آن وآخر، لتقيم نوع من التوازن بين الموضوع

[1]– نوال عبد الرحمان شوابكة: أدب الرحلة الأندلسية، ص53 .

[2]– حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، د ط، مكتبة الغريب، القاهرة، د ت، ص 07.

والذات وبحيث يتعلم القارئ ويستمتع في آن واحد إنها ازدواجية تهدف إلى تقديم غير مباشر للمعلومات ، أولتخفيف حدتها وجفافها بحيث لا يمل القارئ "[1].

بالإضافة إلى القيمة العلمية والأدبية هناك قيمة أخرى لكتب الرحلات هي القيمة التعليمية "حيث أن هذا النوع من الكتب يسهم في تثقيف القارئ وإثراء فكره وتأملاته عن الآخرين، ذلك أن كتاب الرحلات يصورون إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي قاموا فيه برحلاتهم، وثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها إن مثل هذه الكتب في مثل هذه الحالة تعتبر مصدرا لوصف الثقافات الإنسانية "[2].

6-أنواع الرحلات: اختلف الدارسون والباحثون المعاصرون في تصنيف الرحلات العربية، بسبب تعدد دوافعها وأغراضها، وأفضى الاختلاف إلى اتباع فريق منهم "النهج التاريخي، حيث لجأ إلى الفترة الزمنية، وغيرهم خلط بين المنهجين التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج منها أنواعا لا رابط بينها، وفريق ذهب يعد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل، ولكن التصنيف الأقرب إلى الواقع تصنيف صلاح الدين الشامي في كتابه " الرحلة عين الجغرافيا المبصرة " إذ يقسم الرحلة إلى ستة أنواع ثلاثة منها قبل الإسلام وهي: رحلة التجارة، رحلة الحرب، رحلة السفارة "[3].

---

[1]- عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 40.

[2]- حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، ص 8.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

أ_ رحلة التجارة:"رحلة التجارة قديمة قدم البشرية مازلت تتطور وتطور وسائلها، حتى أصبحت أهم الرحلات التي عرفها الإنسان "[1].

ب_ رحلة الحرب: وهي الرحلة "التي وضفتها النظم الحاكمة في المدنيات القديمة وكانت في خدمة العمل العسكري البحث، ولقد ولقد جهزت هذه الرحلة وأعدت لكي تطرد العدوان وتردعه أو تحبطه ولكي تدعم الأمن وتؤمنه "[2].

ت_ رحلة السفارة: "وليدة التقدم الحضاري، ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها، من أجل التفاوض فيما بينها، وكان هذا التفاوض يطول مجالات شتى، بل إن الدولة كانت تتبنى رحلات أخرى منظمة كرحلات البريد وتحوطها برعاية وتبسط عليها سلطانها رغم أنها لم تتخذ شكل السفارة "[3].

"فا السفارة تمثل لون من ألوان الرحلة المعاشية، إذ عن طريقها يتم إبرام العقود والصفقات فضلا عن تذليل الصعاب وخض المنازعات "[4].

---

[1]– عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص35.

[2]– صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، ص65.

[3]– عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص35.

[4]– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام (أنواعها و أدبها)، ص29.

وبعد مجيء الإسلام أضاف إلى هذه الرحلات رحلات أخرى تتمثل في رحلة الحج، رحلة طلب العلم، رحلة التجول والطواف.

ث_ رحلة الحج: بعدما كان غرض الرحلة قبل الإسلام السفر والتجوال والحرب وغيرها من الأشياء الأخرى أصبح بعد مجيء الإسلام هناك سبب أخر يدعو لرحلة وهو الحج الذي هو أحد أركان الإسلام " أصبحت رحلة الحج فرض بالنسبة لحجة العمرة أو سنة لما زاد عليها وأصبحت وفاءا بنذر "[1]، ومن عظيم شأن هذا الركن أن القرآن الكريم تحدث عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: **"وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أنّ الله شديد العقاب(196) "** سورة البقرة.

ج_ رحلة طلب العلم: إذ تعد "رحلة طلب العلم باب مشهور من أبواب الشريعة "[2].

ح_ رحلة التجول والطواف:" هذه الرحلة لا يمكن أن تستقل بذاتها لأنها مضمنة في الرحلات السابقة جميعا فقد يكون هذا المتجول محاربا أو تاجرا أو عالما والذي يخرج من

---

[1]– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام(أنواعها وأدبها)، ص 27.

[2]– نفسه، الصفحة نفسها.

أجل التجول كهدف كان خروجه استجابة لدافع ذاتي بيد أن لم يكن ليقبل منه في عصره، وكان عليه أن يختار نوعا من الأنواع السابقة لتندرج في إطاره "[1].

7- أدب الرحلة:

أدب الرحلات من الأنواع الأدبية النثرية التي ظهرت منذ القديم وقد شهد هذا النوع تطورا ملحوظ مع مر العصور حيث يقوم فيها الرحالة بسرد ما شاهدوه من أحداث ووقائع ووصفوا الأشياء التي أعجبوا بها وتركت أثر في نفوسهم، ولقد اختلف الدارسين والباحثين في تحديد تعريف دقيق لهذا النوع من الأدب ولعل أشمل تعريف هو ما جاء في معجم المصطلحات العربية " هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذه في آن واحد "[2].

[1]- عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص36.

[2]- مجدي وهبة: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، ص 27.

وقد عرفه السيد حامد النساج بقوله " هو ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا أو بمعنى أخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز في اللغة خاصة ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه و سماته "[1].

أما بطرس البستاني فقد عرف أدب الرحلة في قوله " أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم ويدون وصفا لها ويسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق والجمال "[2].

وعند عبد الصمد عزوزي أدب الرحلة هو " أدب وصفي ذو طابع إخباري وتسجيلي يهتم بجمع أخبار البلاد وأهلها وتسجيل المشاهد الغريبة والطريفة كما يهتم أيضا بوصف النواحي الاجتماعية والثقافية للبلدان والأقطار "[3].

وعرفه سعيد بن سعيد العلوي بقوله "جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية، كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي وبنائه ومكوناته

---

[1]– السيد حامد النساج: أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، كويت، يناير1987، ص 113.

[2]– إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، ع 7، 1975 ص52 .

[3]– عبد الصمد عزوزي: الرحلة في المغرب العربي، (أنواعها، أغراضها، روادها)، مذكرة ماجستير جامعة أبيي بكر، تلمسان، 2003، ص134.

وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، والإمتاع لما يرصد لنا ما هو عجيب الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص "[1].

بينما شوقي ضيف فيقول: "لا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، تتضمن هذه المغامرات كثيرا من المعلومات عن البحار وحيواناتها وأسماكها وأصدافها والأقوام الذين يسكنون على الشواطئ، يصوغ ذلك في أسلوب قصصي بديع، يؤكد الواقع أحيانا، وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى "[2].

في حين أن حسين محمد فهيم يصف أدب الرحلات بأنها " رواية التفاعل بين الذات والأخر الذي يترك فيه للرحالة حرية التعبير الكاملة، وأن يطرق من الموضوعات ما يراه هاما وشيقا"[3].

أدب الرحلات إذن هي تلك المؤلفات التي تتحدث رحلة واقعية قاموا بها الرحالة ووصفوا كل الأشياء التي صادفتهم وأثرت في نفوسهم.

---

[1]– ينظر: سعيد بن سعيد العلوي، آروبا في مرآة الرحلة: صورة الأخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص 14.

[2]– شوقي ضيف: الرحلات، ط 4، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 6.

[3]– حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، د ط، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ع 138، الكويت، 1989، ص 11.

8-أسس ومميزات أدب الرحلة: عرفت الرحلة أنها لون أدبي ذات أنواع متعددة وذلك لتعدد أغراضها ودوافعها، وهذا ما جعلها محل اهتمام الكثير من الدارسين والباحثين وذلك لما حظي به هذا اللون من أسس ومميزات تجعله مختلف عن غيره من الألوان الأدبية الأخرى، فأهم ما يميز أدب الرحلة عن غيره هو التنوع والشمول " حيث تتسع موضوعات كتبهم فتشمل التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة، كما إنها تعني بالوصف الدقيق، والتصوير الأمين والنقل الصادق. بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا وهي عندئذ تتحلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي "[1].

وعليه فهو أدب يخوض في موضوعات مختلفة، وفي كل المجالات ويتميز بالموضوعية في السرد، فأحداثها بعيدة كل البعد عن الميولات الذاتيه.

أما فيما يخص التنوع " فقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وطور واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب "[2].

---

[1] – سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة (قديما و حديثا)، ص 09.

[2] – اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 28.

ولكي تتدرج الرحلة ضمن دائرة أدب الرحلات يجب أن تتوفر في مؤلف الرحلة الشروط الأتية:

- أن يقوم برحلة أو رحلات واقعية في زمان ومكان معين.
- أن يكون رحالة تمكن حب الرحلة منه، حيث يصف انطباعات ومشاهداته في هذه الرحلة.
- أن يوازي الوصف بين شخص الرحال من ناحية والرحلة كموضوع من ناحية أخرى، دون التركيز على طرف واحد قد يؤدي إلى التردي في شرك العاطفة المسرفة أو الجفاف التام .

- أن يستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال والحامل لخصائصه دونما التكلف أو إسراف.

- أن يحافظ على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته ليس فرضا عليه وإنما يلتزم معمارا بعينه.

الرحلة فن قائم بذاته له أصوله و قواعده الفضفاضة التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد أو عصر أو بيئة، حيث . يهدف إلى التأثير في القارئ و التواصل معه ليستمتع بكل ما فيه "[1].

9- <u>الواقع والخيال</u>: يعرّف الواقع على أنه " الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية كافة "[1]، وأما الخيال فقد عرّفه الجرجاني في

[1] – **عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 42.**

كتابه معجم التعريفات بقوله " قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها فهو خزانة للحس المشترك ومحله مؤجر البطن الأول من الدماغ "[2].

كما يعرف الخيال على أنه " القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحواس ، وقد يوجد ما تكونه هذه القدرة من صور في مكان ما من عالم الواقع أو قد ينتمي إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد يعلوا على ذلك كله دون أن ينتمي لفترة زمنية محددة أو يرتبط بعالم واقعي محدد "[3].

بينما عرف أرسطو الخيال بقوله: " إن الخيال حركة يسببها الإحساس بحيث لا يأتي للخيال أن يوجد بدونه وقد تبع ابن سينا أرسطو في هذا واقتضى مذهبه وذلك إذ يقول " الشيء قد يكون محسوسا عندما يشاهد، ثم يكون متقبلا عند غيبته بتمثل صورته في الباطن"[4].

---

[1]– رفيق رضا صيداوي:الرواية العربية بين الواقع والتخييل، دارالفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 72.

[2]– الجرجاني: معجم التعريفا،تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، د ط،دار الفضيلة،مصر،1413، ص90.

[3]– جابر عصفور: الخيال أسلوب الحداثة، ط 2، المركز القومي لترجمة، القاهرة، 2009، ص 09.

[4]– عاطف جودة نصر: الخيال مفهوماته ووظائفه، د ط، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتابة، 1984، ص 13 .

10- العجائبي والغرائبي:

ورد لفظ العجائبي في القرآن الكريم في سورة هود في قوله تعالى: "**قالت ياويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (72) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (73)**" سورة هود"[1].

وصيغة " إن هذا لشيء عجيب " هي ما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب "[2].

كما ذكر مصطلح العجب في سورة الرعد وذلك في قوله تعالى: "**وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولائك الذين كفروا بربهم وأولائك الأغلال في أعناقهم وأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون(5)** " سورة الرعد"[3].

صيغة " وإن تعجب " من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المصادر مع من يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء "[4].

---

[1]- القرآن الكريم : سورة هود ، الأية 72 - 73 .

[2]- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ط 1، دار ابن حازم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 4، ص 334.

[3] - القرآن الكريم: سورة الرعد، الآية 5 .

[4]. أبي الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن الكريم، ص 1000 .

وقد ذكر أيضا في سورة الكهف لقوله تعالى: "**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا** " سورة الكهف(5) "[1] .

جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا في قوله " عجب العين والجيم والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على كبر واستكبر الشيء والأخر خلقة من خلق الحيوان فالأول العُجْبُ وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه يقول هو معجب بنفسه ويقول من باب العجب: عَجَبَ، يُعْجَبُ، عَجَباً وذلك إذا استكبر واستعظم. قالوا وزعم الخليل أن بين العجب والعجاب فرقا فأما العجيب والعجب [فالأمر يتعجب منه] وأما العجاب فالذي يجاوز حد العجيب مثل الطويل والطوال فالطويل في الناس كثير والطوال الأهوج الطول ويقولون: عَجَبٌ، عَاجِبٌ، والاستعجاب شدة التعجب، يقال هو مستعجب مما يرى. قال أوس: ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زينته الحرب لم يترمرم وقصة عجب وأعجبني هذا الشيء، وقد أعجبت به، وشيء معجبٌ إذا كان حسناٌ جدًا "[2]. أما الجرجاني فقد عرفه بقوله " العجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله العجاردة وهو عبد الله بن عجرد قالوا أطفال المشركين في النار "[3]، في حين عرفه القزويني في شرحه لكلمة العجب " قالوا العجب هي تعرض الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء

[1]- القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 5 .

[2]– ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة عجب، ص 243.

[3]– الجرجاني: معجم التعريفات، ص 85.

وعن معرفة تأثير سبب الشيء فيه مثال أن الإنسان أدار خلية النحل ولم يكن شاهده من قبل تعتريه حيرة لعدم معرفة حاله فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث أن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسرنات الأضلاع التي عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع المسطرة من أين لها هذا الشمع الذي إتخذة منه بيوتها المتساوية التي لا يخالف بعضها البعض "[1].

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور " أن العجب ما يرد عليك لقلة اعتياده وأن أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ... قال قد عجبت من كذا والعجب النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد والتعجب أن ترى الشيء يعجبك تظن أنك لم ترى مثله وآيات الله عجائبه "[2].

أما في تاج العروس فقد ورد أن التعجب " هو حيرة تعرض الإنسان عند سبب جهل الشيء والذي هو سبب له في ذاته بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، ولهذا قال قوم : كل شيء عجب وقال قوم لا شيء عجب "[3].

---

[1]– زكريا محمد القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، قدمه وحققه فاروق سعد، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت،1977، ص 38.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، ص 580.

[3]– محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي: تاج العروس من مجوهرات القاموس،ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 207.

في حين يرى جبران مسعود في الرائد " إن العجب انفعال يصيب المرء عند استعظامه الشيء "[1].

يعرف تودوروف العجائبية بأنها "جنس أدبي مستقل" و" كأنه بصدد الحديث عن رواية أو ملحمة أو تراجيديا أو غيرها من الأجناس بامتياز "[2].

ولهذا فالعجائبية عنده هي جنس يحمل المتلقي الذي يتعامل بطبيعته مع القوانين الطبيعية على التردد، إذ يواجه أحداث فوق طبيعته بين تفسيرها طبيعيا أو تفسيرها فوق الطبيعي"[3]. ولكن العجائبية في معناها العام هي " التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما هو يواجه حدث فوق طبيعي حسب الظاهرة "[4].

في حين يعرف كمال أبو ديب العجائبية في كتابه الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربيي " أن العجائبي بؤرة الخيال الخلاق الذي يجمع مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي، ومخضعا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى

---

[1]– جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري، ط 2، دار المعلم للملايين، بيروت ، 1967، ص 1005 .

[2] – حسين علام: العجائبية في الأدب، ط 1، الدار العربية للعلوم والناشرون، بيروت، لبنان، 2010، ص 28 .

[3]– شعيب حلفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية ، دار الاختلاف ، الجزائر ، 2009 ، ص 30 .

[4] – تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي ، تر : الصديق بوعلام ، ط 1 ،دار الكلام ، الرباط 1993، ص 18.

الماورائي لقوة واحدة فقط هي قوة الخيال، المبدع المبتكر الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحرية المطلقة، يعجن العالم كما يشاء غير خاضع إلى لشهواته ولمتطلباته الخاصة ولما يختار هو أن يرسمه من قوانين وحدود "[1].

ونجد أن المعاجم الاصطلاحية الغربية تعرف العجائبي على أنه " نابع من المخيلة غير واقعي، كقولنا رؤية عجائبية أي غير واقعية، أو قصة فو طبيعية كمشهد غير عادي لثوران بركان أو كل ما يدخل في ما يبعد عن مجراه العادي المألوف للأشياء فيبدوا معجزا كتردد مصطلح عجائب الدنيا السبع "[2].

إن العجائبي في أصله عند الغربين مأخوذ من الكلمة اليونانية، وتعني كل ماله علاقة بالمخيلة، ونجد أن المعاجم الفرنسية تأخذ كمصطلح مرادف للدهشة تارة الخارق الخارج عن العادة وتارة أخر كل ما له صلة بالخيال الوهمي و الأسطوري "[3].

وتجدر الاشارة إلى أنه من الضروري لفهم العجائبي لابد من عبور العجيب لأن الأول يعد شكله الأصل ولأنه يقدم لنا أيضا شخصيات وحوادث وكائنات تضاف إلى العالم الواقعي

---

[1]– كمال أبو ديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، دار الساقي، بيروت ، ودار أوركس، إسطنبول، ط 1، 2007، ص 8 .

[2]– مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 2012 ص 152 .

[3]– نفسه، ص 153 .

دون أن تفرق تماسكها، فهو يتناول عن طريق الحكي كائنات متخيلة (الساحرة بصفة خاصة) تتمكن بفضلها احدا الشخصيات من اكتساب مواهب نادرة، منذ الولادة، أو خلال حياتها، هذه الكائنات تعد غالبا بمثابة مساعدة للعدالة (ضد الساحرات الشريرات أو زوجات الأب) وهذه الحكايات يمكن أن تكون جميلة، ومثيرة للعاطفة الطفولية، تلك التي تستلزم إنتصار الحق وعودة العالم إلى طبعه المسالم، مما يجعلنا نعيش في جو من الحلم حيث يحيط بنا فيه ما هو رائق وهانيء "[1].

لكن العجائبي يختلف عن ذلك تماما، فهو ينتهي في غالب الأحيان بشكل سيء، بالموت بطريقة مفزعة غالبا، على الرغم من أنه يكون بذلك استعادة لتوازن ما قد افتقد بينما تعيد الساحرات في العجيب ذلك النظام المفقود دون فضاعة ورعب "[2].

والعجائبية في تصور تودوروف ثلاثة شروط :

– "لابد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أنها أشخاص أحياء من جهة، وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المروية من جهة ثانية وهذا يعيدنا إلى المظهر اللفظي للنص ويشكل أدق ما يدعى بالرؤى، إن العجائبية حالة خاصة من المقولة الأعم للرؤية الغامضة.

---

[1]– حسين علام: العجائبي في الأدب، ص 47.

[2]– نفسه، صفحة نفسها .

– قد يكون هذا التردد محسوسا بالتساوي من طرف شخصية، وعلى ذلك يكون دور القارئ مفاوضا إلى شخصية، وفي نفس الوقت يوجد التردد مثلا، حيث يصير واحدا من موضوعات الأثر، ويتوحد القارئ مع الشخصية في حالة قراءة ساذجة، ويرتبط هذا بالمظهر التركيبي، في حدود افتراضه وجود نمط شكلي للوحدات التي ترتد إلى الحكم المحمول من قبل الشخصيات على أحداث القصة، ويمكن تسمية هذه الوحدات بردود الأفعال .

ومن جانب أخر يرجع المظهر الدلالي بنا إلى أن الأمر يتعلق بموضوعية ممثلة في – ضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة حيث سيرفض التأويل الاليغوري والتأويل الشعري للأحداث، حيث يرى تودوروف " بأن الشرط الأول والثالث يشكلان الأثر حقا، أما الثاني فيمكن أن يكون غير ملبي بيد أن أغلب الأمثلة تستجيب للقيود الثلاثة "[1].

أما الغرائبي : فهو كما عرفه القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات بقوله " إن الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع محالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة. وذلك إما من تأثير أمور فلكية أو إجرام عنصرية كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته"[2].

[1]– تزفتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، ص 55.

[2]– زكريا محمد القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص 09 .

في حين أن فرويد عرف الغرائبي بقوله " الشعور بأن الوضع الحالي شاذ أو غير واقعي، ويمكن اعتباره حالة خاصة لشعور الغرائبية الذي يحوي في الوقت نفسه اضطراب للإدراك المميز للوضع وبداية الشعور بفقدان الشخصية "[1].

أما راغب الأصفهاني فقد عرف الغريب بقوله " ما انفصل بعيدا عن المرء فهو غريب كل شيء لا يشبه جنسه فهو غريب، ومن هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام إنه ظهر غريبا "[2].

رغم الاختلاف الموجود بين هذه التعريفات إلى أنها تحمل في الأخير معنى واحد وهو أن الغريب هو الخروج عن المألوف وكل ما هو مخالف للعادات المعهودة فهو غريب، والعجيب "هو ذلك النوع من الأدب الذي يقدم لنا كائنات وظواهر فوق الطبيعية تتدخل في السر العادي للحياة اليومية فتغير مجراه تماما، وهو يشتمل على حيات الأبطال الخرافيين الذين يشكلون مادة للطقوس والإيمان الديني مثل أبطال الأساطير التي تتحدث عن ولادة المدن أو الشعوب، ويمكن أن تدرج في مجال العجيب حكايات الخلق الأول في الكتب المقدسة بالإضافة إلى المعجزات والكرامات التي يشكل ما فوق الطبيعي إطارا لها، كما أنه يمكن أن تدخل في مجال العجيب القصص التمثيلية ذات الطابع التعليمي والحكايات

[1]– رولان دورون و فرانسواز بارو: موسوعة علم النفس، ترجمة: فؤاد شاهين، ج 1، ص 437.

[2]– راغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ط1،1961، ص 322 .

على لسان الحيوان وحكايات الجنيات الخيرات وحكايات الأشباح"[1]، ويندرج الغريب ضمن الأدب الذي يرى الناقد أنه يقدم لنا علما يمكن التأكد من مدى تماسك القوانين التي تحكمه. والقرار موكل للقارئ مرة أخرى بحيث إذا ما قرر أن قوانين الواقع تظل على حالها وأنه بإمكاننا تفسير الظواهر الموصوفة فإننا نبقى في الغريب الذي يبصر أول الأمل لكن بمجرد إدراك أسبابه يصبح مألوفا، تزول غرابته مع التعود ومن الشائع أن يوجد الغريب المحضى في الأثر التي تنتمي إلى هذا الجنس إذ تمة سرد للأحداث يمكنها بالتمام أن تفسر بقوانين العقل، لكنها غير معقولة، خارقة مفزعة، فريدة، مقلقة، وغير مألوفة، وهي لهذا تثير لدى شخصية القارئ رد فعل شبيه بذاك الذي عودتنا عليه النصوص العجائبية ويتحدد هنا الغريب بإعتباره مجاورا للعجائبي وبكونه لا يحقق إلا شرط واحد من الشروط وهو وصف ردود أفعال معينة مثل الخوف فهو مرتبط بشعور الشخصيات وغير مرتبط بظهور يتحد العقل "[2].

وفي آخر هذا الفصل نخلص إلى أن أدب الرحلة فن أدبي قديم عرف في الماضي، ينقل من خلاله الرحالة أو الكاتب عادات وتقاليد وأعراف الشعوب التي تعايش معها وكل المواقف التي تعرض لها أثناء رحلاته، ومن الرحالة من كان يبالغ في الأحداث والشخصيات والأماكن في بعض الأحيان، حتى بلغوا درجة الخرافة في الكثير من الأحيايين والأوقات،

[1]– حسين علام: العجائبي في الأدب، ص 32.

[2]– نفسه، ص 33.

وهو ما ينقلنا إلى نوع مختلف تماما من أدب الرحلات، والذي أصبح عند البعض بمنزلة المنارة التي ترشد طريقنا إلى أيقونات أدبية وعلمية تعطينا فكرة عامة عن حضارة الأماكن التي تتحدث كتب الرحلات عنها.

يقدم لنا "نجيب محفوظ" من خلال " رحلة ابن فطومة " المليئة بالعجائب والغرائب، الرمزية في أبهى صورها. بدايةً من عنوان الرواية الجَذاب "رحلة ابن فطومة" مُحاكاةً للرحالة الشهير"ابن بطوطة" وهذا يُشير لتصنيف الرواية ضمن أدب الرحلات، كما أنه يأخُذنا بأسلوبه المُتمرس إلى أعماق الفلسفة، ورحلة البحث عن اليوتوبيا والحقيقة الكاملة، وهي رواية فلسفية الطابع، وكأنّها رحلةٌ لإعمال العقل، حيث تتناول ما هو أبعد بكثير من فكرة الترحال.

الفصل الثاني

الواقعي والعجائبي في رحلة ابن فطوم

– **تقديم الرواية:** تتمحور الرواية حول البطل قنديل بن مُحمد العنابي أو كما أَطلق عليه إخوته –مِن أبيه– ابن فطومة نسبةً لأمهِ فطومة الأزهري، شابٌ حالِم كغيرهِ من الشباب، يعيش مع أمه في دار الإسلام، مات والده وهو في سنٍ صغيرة تاركًا له ولأخوته ثروة تُحقق لهم حياة مُترفة، لكن إخوته تبرؤا منه ومن قرابته، ما جعل أمه تخاف عليه وتمنعه من الذهاب إلى صفوف الدراسة وطلبت منه أن يتلقى تعليمه في المنزل، فوافق قنديل على ذلك وتلقى تعليمه على يد الشيخ "مغاغة الجبيلي" ليتلقى دروسَ القرآن والحديث، فكان هذا الشيخ هو نقطة التّحول في حياة ابن فطومة، حيث كانا يَخوضان معًا نقاشاتٍ كثيرة حول الرحالة والرحلات، يُحدثه مُعلِمه عن رحلاته ومُشاهداته والدّيار التي زارها، ليصل إلى الحديث عن إحدى الديار التي لم تسمح له الظروف بزيارتها وهي"**دار الجبل**" والتي تُمثل لقاصديها الكمال المُطلق.

تدور الأحداث ويُقرر ابن فطومة الزواج، ويتعرف إلى فتاة تدعى حليمة أحبها وأراد الزواج منها وبعد موافقة العائلتين قام بخطبتها وبدأ يحلم بحياة زوجية سعيدة بعيدا عن الحزن، ولكن فجأة ظهر له حاجب الوالي واقتحم حياته وهدم حلمه، وذلك بعد أن أعجب بحليمة وقرر الزواج منها فتم فسخ خطوبتها من قنديل وزفها لهذا الحاجب، فبين ليلة وأخرى انقلبت حياة قنديل، بعد أن تزوجت أمه من شيخه، وحبيبته التي أراد أن يبني حياته معها أخذت منه، أصبح وحيدا بعدما كانت حياته مليئة بالسعادة فشعر بالخيانة من أقرب الناس إليه. ينطوي قنديل على نفسه، ويبدُو كلّ شيءٍ مُظلمًا أمامه، ليُقرر مِن هنا الهروب مِن

فشله –في الزواج– إلى الترحال بعيدًا عن بلاد الإسلام، عازمًا على إكمال رحلته حتى دار الجبل مهما كلفه الأمر؛ بحثًا عن السعادة والحقيقة التي تُجيب عن تساؤلاته حول المثالية والكمال، كلّ هذا وهو لم يكنْ تجاوز العشرين مِن عمره.

يصف نجيب محفوظ[1]في هذه الرواية رحلة ابن فطومة من دارٍ إلى دار، ويصور لنا تفاوت الحياة والمعيشة بكلّ دارٍ، بدايةً مِن دارِ المشرق، مُرورًا بديار الحيرة والحَلبة والأمان،

[1] – ولد نجيب محفوظ في حي الجمالية، القاهرة في 11 ديسمبر 1911، والده عبد العزيز إبراهيم كان نجيب محفوظ أصغر أخوته، ولأن الفرق بينه وبين أقرب إخوته سننا إليه كان عشر سنوات، فقد عومل كأنه طفل وحيد، كان محفوظ عمره سبعة أعوام حين قامت ثورة 1919 والتي أثرت فيه وتذكرها فيما بعد في أول أجزاء ثلاثيته، التحق محفوظ بجامعة القاهرة 1930 وحصل على ليسانس الفلسفة وشرع بعدها في إعداد رسالة الماجستر عن الجمال في الفلسفة الإسلامية ثم غير رأيه وقرر التركيز على الأدب. تزوج نجيب محفوظ في فترة توقفه عن الكتابة بعد ثورة 1952 من السيدة عطية الله إبراهيم وأخفى خبر زواجه عمن حوله لعشر سنوات متعللا عن عدم زواجه بانشغاله برعاية أمه وأخته الأرملة وأطفالها، بدأ نجيب محفوظ الكتابة في منتصف الثلاثينيات، وكان ينشر قصصه القصيرة في مجلة الرسالة، وفي 1939 نشر روايته الأولى عبت الأقدار التي تقدم مفهوم عن الواقعية التاريخية ثم نشر كفاح طيبة ورادوبيس منهيا ثلاثية تاريخية في زمن الفراعنة. ومن 1945 بدأ نجيب محفوظ خطه الروائي الواقعي الذي حافظ عليه في معظم مسيرته الأدبية برواية القاهرة الجديدة ثم خان الخالي وزقاق المداق. جرب نجيب محفوظ الواقعية النفسية في رواية السراب، ثم عاد إلى الواقعية الاجتماعية مع بداية ونهاية، وثلاثية القاهرة فيما بعد اتجه محفوظ إلى الرمزية في رواياته : الشحاذ، وأولاد حارتنا، والتي سببت ردود فعل قوية وكانت سبب في التحريض على محاولة اغتياله. كما اتجه محفوظ في مرحلة متقدمة من مشواره الأدبي إلى مفاهيم جديدة كالكتابة على حدود الفنتازيا كما في رواياته: الحرافيش ليالي ألف ليلة، وكتابه البوح الصوفي ، والأحلام كما في أصداء السيرة الذاتية وأحلام فترة النقاهة، اللذان اتسما بالتكثيف الشعري، وتفجير اللغة والعالم وتعتبر مؤلفات محفوظ من ناحية بمثابة مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية في مصر،

وحتى دار الغروب، ورغبة قنديل في الوصول إلى دار الجبل حتى لو بدّد ثروته بأكملها والعودة إلى دياره فقير.

-**عتبة الغلاف:** يشكل الغلاف الخارجي لأي عمل إبداعي فني مكتوب شاهدا لمعرفة محتوى الرواية فهو عبارة عن لوحة فنية تشكيلية لها علاقة بالنص، لأن القارئ يقرأ العنوان قبل النص فالغلاف الخارجي يجذبنا من خلال الألوان والرسوم والأشكال المستعملة، وعليه فإنه يعكس بصورة واضحة النص، ويلعب دورا مهما في مدى تأثيره

ومن ناحية أخرى يمكن اعتبارها تدوينا معاصرا لهم الوجود الإنساني، ووضعية الإنسان في عالم يبدو وكأنه هجر الله أو هجره الله، كما أنها تعكس رؤية المثقفين على اختلاف ميولهم إلى السلطة .

توقف نجيب محفوظ عن الكتابة بعد الثلاثية، ودخل في حالة صمت أدبي، انتقل خلاله من الواقعية الاجتماعية إلى الواقعية الرمزية، مع أنه بدأ الكتابة في وقت مبكر، إلا أن نجيب محفوظ لم يلق اهتماما حتى قرب نهاية الخمسينيات، فكتب عنه سيد قطب في مجلة الرسالة في 1944، وكان أول ناقد يتحدث عن رواية القاهرة الجديدة، واختلف مع صلاح الدين ذهني بسبب رواية كفاح طيبة، وكتب عنه محمد الجوادي، في ظلال السياسة: نجيب محفوظ الروائي بين المثالية والواقعية، وهي دراسة أدبية نقدية تحليلية. وكتبت عنه جريدة الحياة في ذكرى وفاته الثامنة ":من هو نجيب محفوظ"، عرف عن الأديب الكبير نجيب محفوظ ميله الشديد لعدم السفر إلى الخارج لدرجة أنه لم يحضر لاستلام جائزة نوبل وأوفد انتباه لاستلامها . ومع ذلك فقد سافر ضمن وفد من الكتاب المصريين إلى كل من اليمن ويوغوسلافيا في مطلع الستينيات ومرة أخرى إلى لندن لإجراء عملية جراحية في القلب عام 1989 .

توفي نجيب محفوظ في بداية 29 أغسطس 2006 عن عمر ناهز 95 عاما إثر قرحة نازفة بعد عشرين يوما من دخوله مستشفى السرطى في حي العجوز في محافظة الجيرة لإصابته بمشكلات صحية في الرئة والكليتين، وكان قبلها قد دخل المستشفى في يوليو من العام ذاته لإصابته بجرح غائر في الرأس أثر سقوطه في الشارع. نجيب محفوظ H t t p s a r. M. W I k I p e d I a. o r g,

على القارئ لذا فإن الكاتب يهتم بالعنوان والغلاف الخارجي كونها أول واجهة تصادف العين، فالغلاف الخارجي إذا لوحة إشهارية نجدها في كل غلاف وعنوان لأي عمل فني.

ولعل أول شيء يجذبنا إلى رواية ابن فطومة هو صورة لفتاة فوق طائر كبير تحمل في يدها باقة من الأزهار، وهي صورة تعبر عن موضوع الرواية التمثل في الرحلة، حيث أن الطائر لا يبقى في مكان واحد وإنما يحلق من مكان إلى أخر، وهذا يعني أن الغلاف الخارجي لهذه الرواية له علاقة بمحتوى النص. أما الواجهة الثانية لغلاف الرواية فكانت صورة لنجيب محفوظ وهو مبتسم تبدوا عليه ملامح السعادة .

-**عتبة العنوان:** يمثل العنوان همزة وصل بين القارئ والنص، فهو المدخل الذي يعطي صورة عن محتوى الرواية، حيث يعتبر العنوان مفتاحا أساسيا للدخول إلى المضمون وذلك بالاستناد عليه، فهو يعطي فكرة للقارئ عما هو موجود داخل هذه الرواية كما يمكن أن يعبرعن فكرة أو موقف منها، وبذلك يعطي العنوان ملخصا بسيطا لمضمون النص السردي، وعنوان هذه الرواية: "رحلة ابن فطومة" يعطي للقارئ فكرة ذات دلالتين الأولى هي الفكرة العامة للرواية ومضمونها، بتحديد اسم البطل منذ البداية، والدلالة الثانية هي في توجيه ذهن القارئ إلى نوع الرواية والمتمثل في أدب الرحلة للشبه الكبير بين اسم "ابن فطومة" وابن بطوطة" وهي الرحلة الشهيرة التي قام بها ابن بطوطة، فبمجرد ما نقرأ العنوان نجد أنه يرمز إلى الاستكشاف والمغامرة، وأنه يشير إلى رحلة مليئة بأشياء مثيرة بما فيها من عجائب وغرائب خارقة للعادة.

1-شخصيات رواية ابن فطومة: تلعب الشخصيات دور مهم في الرواية وهي تنقسم إلى نوعين شخصيات رئيسية، وشخصيات ثانوية:

أ- **الشخصيات الرئيسية:** وهي شخصيات ذات أهمية في الرواية ووجودها ضروري ولا يمكن الاستغناء عنها وتتمثل هذه الشخصيات في:

- **قنديل محمد العنابي (ابن فطومة):** وهي الشخصية المحورية التي تدور عليها أحداث الرواية، حيث أن قنديل شاب مسلم فقد حبيبته بعد أن تزوجت غيره وهذا ما تسبب في مغادرته لبلاده حيث ترك أمه وشيخه ليبدأ رحلته إلى دار الجبل بحثا عن العدالة التي لم يجدها في بلاده .

- **حليمة عادل الطنطاوي:** وهي حبيبة قنديل التي أراد الزواج منها ولكنها تركته لترتبط بحاجب الوالي الذي أعجب بها وانتزعها من قنديل.

- **الشيخ مغاغة:** كان في الأربعين من عمره قويا مهيبا ذو لحية رشيقة وعمامة عالية، هو الذي قام بتعليم قنديل وتربيته وهو الذي أدخل في رأس قنديل فكرة السفر إلى دار الجبل، وقد تمكن هذا الشيخ من الزواج من أم قنديل بعد إعجابه بها .

- **سامية:** زوجة قنديل التي صادفها أثناء رحلته في دار الحلبة وهي إبنة الإمام وقد تزوجها بعد معرفته أنها مسلمة وإعجابه بقوتها وشجاعتها، كانت تشتغل طبيبة أطفال في مشفى كبير وبعد زواجها من قنديل أنجبت له ثلاثة أولاد : مصطفى وحامد و إبراهيم.

- **محمد العنابي:** وهو والد قنديل الذي توفي قبل أن تطبع صورته في ذاكرة ابنه فقد كان ثريا ولديه سبعة أطفال وقنديل من زوجته الثانية التي تعرف عليها وهو في السن الثمانين من عمره وقد رفض أبناءه فكرة زواجه مرة ثانية ولكن بعد إصراره تزوج من فاطمة الأزهري وأنجب منها ولد وهو قنديل ثم توفي بعدها .

- **فطومة الأزهري:** وهي أم قنديل، تزوجت محمد العنابي في السابع عشر من عمرها وبعد فترة من زواجها توفي زوجها، وأصبحت تخاف على أبنها من أشقائه السبعة الذين تبرؤا منه، ما جعلها تمنعه من الذهاب إلى صفوف الكتاب وإحضار الشيخ مغاغة ليقوم بتعليمه في البيت، ثم بعد ذلك تزوجت من ذلك الشيخ .

ب- الشخصيات الثانوية:

- **القاني بن حمديس:** وهو صاحب القافلة التي سافر فيها قنديل وكان ينقل التجار إلى مكان العمل و يعود كل عشرة أيام .
- **فام:** وهو صاحب الفندق في دار المشرق.
- **هام:** وهو صاحب الفندق في دار الحيرة.

- **الحكيم ديزنج:** وهو قوي من المقربين إلى الإله وهذه المكانة جعلته ينتزع من قنديل زوجته ويتسبب في سجنه لمدة عشرين عاما ثم بعد ذلك حدثت حرب في بلده فأدخل إلى السجن و أطلق صراح قنديل.
- **قلشم :** مدير الفندق في الحلبة.
- **الشيخ حمادة السبكي:** وهو إمام المسجد في الحلبة ووالد سامية زوجة قنديل، حيث كان يساعد قنديل ويوجهه وقد أدخل قنديل شريكا له في المحل.
- **فولكة :** مندوب مركز السياحة في دار الأمان وكان مرشدا لقنديل داخل تلك الدار.
- **عروسة:** وهي زوجة قنديل الأول بعد رحلته التي تعرف عليها في دار المشرق وقد كانت وثنية الديانة .

2-بنية الرواية:

تنقسم رواية ابن فطومة إلى ستة فصول وكل فصل يضم أحداث معينة مختلفة عن الفصل الآخر، حيث تمثل الفصل الأول في " دار الوطن " دار الإسلام حيث عاش مع أمه وحقد إخوته عليه لأنهم يعتبرونه عدوهم وليس أخوهم ولقبوه بـ " ابن فطومة " نسبة إلى أمه، تلقى دروسه على يد الشيخ مغاغة الجبلي الذي ترك تأثيرا بالغا بإلهامه بفكرة الرحلة، وهي الفكرة التي استحوذت على اهتمام ابن فطومة وتمكنت منه، وهناك سبب أخر دفعه إلى مغادرة دياره، وهو حبه لحليمة بنت الشيخ عادل الطنطاوي التي

فسخت خطبته منها وكذلك زواج أمه من الشيخ مغاغة، واعتبر هذا كله خيانة له، حيث قال " **خانني الدين، خانتني أمي، خانتني حليمة، ألا لعنة الله على هذه الدار الزائفة**"[1].

كانت هذه الأحداث السبب الأساسي في تعزيز فكرة الرحلة في نفس ابن فطومة، حيث وصف لنا في هذا الفصل حياته التعيسة التي انقلبت بين ليلة وضحاها بسبب النظام الفاسد الذي يسود وطنه وتراجع القيم الأخلاقية والحق أمام سلطة المال والخداع وهذا ما جعله يخرج من وطنه حزينا " **وأخذت في الاستعداد للرحلة مسترشدا الشيخ مغاغة فملأت حقيبة بالدنانير وثانية بالملابس و ثالثة باللوازم ومنها الدفاتر والأقلام والكتب** "[2].

أما الفصل الثاني فقد كان عن وصول ابن فطومة إلى دار المشرق وهي دار وثنية الديانة، انتشرت في هذه الدار ظاهرة المجون حيث يمشون عريا والعلاقات في هذه الدار علاقات عابرة، فهم لا يتزوجون وإنما يستأجرون المرأة لمدة تتجدد، وتحدث في هذا الفصل ابن فطومة عن المعاناة التي مر بها بسبب النظام الذي تقوم عليه هذه الدار، والذي أدى به إلى إبعاده عن أولاده وزوجته التي طعنته في ظهره وذلك بعد أن تعرف على فتاة واستأجرها لأن هناك لا يسمح بالزواج وأنجب منها خمسة أولاد ولما أراد تعليمهم دين الإسلام لم يعجبهم الأمر حتى الفتاة التي ستأجرها اتهمته بقيادة أولادها إلى الكفر ويتبين هذا من خلال

---

[1]– نجيب محفوظ: رحلة ابن فطومة، ط 2، دار الشروق، القاهرة ، مصر، ص 17.

[2]– الرواية، ص 19.

الحوار الذي دار بينها وبين ابن فطومة" **انك تنشؤه على الكفر وتعده على حياة تعيسة في بلده ..... إني انقذ روحه كما تمنيت أن أنقذ روحك..**

فقالت بصرامة : لن أسمح لك بهذا أبدا ... "[1]، وبسبب هذا طرد من بلاد المشرق فغادر مذعورا و مكسورا بعدما ترك زوجته وأولاده هناك وأكمل رحلته . فأدرك أن المشرق تتميز بالنظام القبلي، وذلك أن في هذه الدار يوجد أربعة سادة مدن وسيد العاصمة والبقية من الناس عبيد .

أما الفصل الثالث فيتمثل في " دار الحيرة " وهي دار لا تعترف إلى بالحاكم فالملك يعد بمثابة الإله وفي هذه الدار القوي يأكل الضعيف حيث أن صاحب السلطة يملك الأحقية على الذي أقل منه منصبا، وبسبب هذا النظام الذي تقوم عليه هذه الدار سجن ابن فطومة لمدة عشرين عاما في ما يجعله يفقد حريته وسنوات من عمره وهذا بعدما دارت حرب بين الحيرة والمشرق وتنتصر جيوش الحيرة و تصبح عروسة وهي زوجة ابن فطومة التي تركها في المشرق إحدى السبايا فيشتريها مجددا، ولكن يأخذها منه " ديزنج " وذلك كونه الحاكم الأكبر للملك ويظهر هذا في الحوار الذي دار بين ابن فطومة و مرشده:

"**فقال لي بنبرة ناصحة: ديزنج رجل قوي وهو من المقربين إلى الإله .. فقلت وأنا أداري انزعاجي، الغرباء في بلادكم آمنون. فقال بحرارة: رأيي في هذه المسألة**

[1]- **الرواية، ص 45.**

واحد لا يتغير .. "[1]. ويسمى هذا النظام الذي يسود دار الحيرة **النظام الإقطاعي** وذلك أن الملك والحاكم وأتباعهم يتحلون بالقداسة أما بقية الناس فلا قداسة لهم. ولكن رغم هذا النظام والمعاناة التي مر بها ابن فطومة إلى أنه أكمل رحلته.

أما الفصل الرابع فيتمثل في دار الحلبة وهي دار يسودها **النظام الليبرالي** وذلك لما فيها من حرية الديانات ولأنها دار لا شأن لها بالدين " **الحلبة دار الحرية، تنمثل فيها جميع الديانات، فيها مسلمون ويهود و مسيحيون وبوذيون، بل فيها ملحدون ووثنيون**"[2]، وهي بذلك الدار الوحيدة التي لم يعاني فيها ابن فطومة وعاش فيها حياة هادئة ومستقرة بعد زواجه من امرأة من نفس دينه مسلمة.

أما الفصل الخامس فيبدأ من دار الأمان وهي دار العدل والمساواة، الدار الوحيدة التي لا تعرف الفرق بين الغني والفقير، والنظام الوحيد الذي يسود هذه الدار هو **النظام الشيوعي** حيث لا فرق فيه بين الناس ويظهر ذلك في قوله " **نظامنا لا شبيه له بين النظام، كل فرد يعد للعمل يعمل، وكل فرد ينال أجره المناسب، الدار الوحيدة التي لا تعرف الأغنياء والفقراء ، هنا العدل الذي لم تستطع دار أخرى أن تحقق جزءا منه** "[3].

وآخر فصل في رواية ابن فطومة تمثل في "دار الغروب" وهي أخر محطة ينزل فيها ابن فطومة بعد رحلته الطويلة وقد كانت هذه الدار **مجردة من أي نظام**، حيث لا حاكم لها،

---

[1]- الرواية، ص 61.

[2]- الرواية، ص 74.

[3]- الرواية، ص 107.

وتعد هذه الدار بمثابة مدرسة يتدرب فيها الذين يريدون الوصول إلى دار الجبل، ففي هذه الدار تبتعد نفسه عن أهواءها الذاتية. وقد إنتهت الرواية بدار الجبل دار الكمال، حيث انقطعت فيها أخبار القافلة قبل الوصول وذلك بعدما ترك لنا الكاتب النهاية مفتوحة كي يسرح القارئ بخياله و يكسبها تأويلات مختلفة ومتعددة، وتتبين نهايتها المفتوحة من خلال ختم نجيب محفوظ روايته " رحلة ابن فطومة " بقوله :

- **هل واصل رحلته أم هلك في الطريق ؟**

- **هل دخل دار الجبل و أي حظ صادفه فيها ؟**

- **وهل أقام بها لأخر عمره أو عاد إلى وطنه كما نوى ؟**

- **وهل يعثر ذات يوم على مخطوط جديد لرحلته الأخيرة ؟**

وعلم ذلك كله عند عالم الغيب و الشهادة "[1] .

3-<u>حركية السرد في الرواية:</u>

يتبين لنا من خلال الترحال من مكان إلى آخر، أنّ هناك حركة في الرواية وذلك بعد خروج ابن فطومة من مرحلة حياته الهادئة التي كان يعيشها في بلده إلى مرحلة حياتية جديدة، وكذلك تظهر الحركة في هذه الرواية من خلال توظيف الأزمنة من ماضي وحاض،

[1]- **الرواية، ص 126.**

فيظهر الزمن أثناء استرجاعه للذكريات الماضية حيث قال " **تذكرة حليمة بقوة مهيمنة وغشيت صورتها الأرجاء مع الحرارة و أشعة الشمس** "[1].

وكذلك تذكر لشيخ مغاغة لرحلته حين قال " **قمت بتلك الرحلة عقب وفات أبي ، فزرت ديار المشرق والحيرة والحلبة ولولا الظروف المعاندة لزرت الأمان والغرب والجبل ولكن القافلة وقفت عند الحلبة بسبب قيام حرب أهلية في دار الأمان** "[2]. وكذلك العلاقات القائمة بين الشخصيات تساهم في سير حركة الرواية والحوار القائم بينهم، فهناك حوار داخلي وخارجي في الرواية حيث تمثل الحوار الداخلي في الرواية في حديث ابن فطومة مع نفسه: " **وقلت لنفسي انظر و سجل و اعترف بالحقيقة المرة** "[3].

قلت لنفسي: إنه فقدان الوعي بلا زيادة أو نقصان "[4].

وكذلك في دار الحلبة عندما أعجبته الفتاة سامية يظهر حواره مع نفسه في قوله: "**قلت لنفسي : إنها فتاة كاملة ولا حياة لي بدونها** "[5]

وهناك أيضا الحوار الخارجي الذي دار بينه وبين الشيخ مغاغة: " **إذا كان دار الإسلام كما تقول فلماذا تزدحم الطرقات بالفقراء و الجهلاء ؟ فأجابني بأسى: الإسلام اليوم قابع**

---

[1]- الرواية، ص 25.

[2]- الرواية، ص 10.

[3]- الرواية، ص 25.

[4]- الرواية، ص 29.

[5]- الرواية، ص 87.

في الجوامع لا يتعداها إلى الخارج ويفيض في الحديث فيلهب الأوضاع بنيرانه .. حتى الوالي لا يسلم من شرره وقلت له: إذن إبليس هو الذي يهيمن علينا لا الوحي "[1] . وهناك أيضا حوار خارجي بين ابن فطومة وعروسة في قوله: **مامعنى هذا ياعروسة ؟ سألتني ما اسمك ومن أي بلد أنت؟ اسمي قنديل و من دار الإسلام ..عم تسأل ؟ فسألتها وأنا أشير إلى الخارج: أهو أبوك ؟ نعم** "[2]. فهذه العلاقات تساهم في سرد الأحداث وتطورها.

كما أحسن نجيب محفوظ في توظيف اللغة التي ساهمت كثيرا في البناء السردي للرواية، فقد استطاع من خلال خياله الواسع أن يصف الأحداث والأمكنة والشخصيات بشكل يجعل القارئ يتخيلها ويتفاعل معها، كما أن الرواية تميل إلى التكثيف والإيجاز من خلال توظيف المجاز والاستعارة.

وتميزت لغته أيضا بالإسهاب والتفصيل الكفيلين بنقل روايته وتجسيدها من خلال وصفه للأماكن، كما تظهر قدرته في الوصف من خلال الانتقال من الواقع إلى الخيال دون أن يحدث خللا أو ارتباكا لدى القارئ، وكذا توظيف لغة شعرية تظهر من خلال الصور الفنية

[1]- الرواية، ص 9.

[2]- الرواية، ص 35.

الموظفة فيها، منها: " **تراءت دار الجبل لعين خيالي كنجم معشوق يعتلي عرشه وراء النجوم ، فنسجت الرغبة الأبدية في الرحلة على لهيب الألم الدائم** "[1] .

4- الدافع وراء رحلة ابن فطومة:

الدافع الأساسي الذي دفع ابن فطومة إلى السفر بعيدا عن وطنه والانتقال من مكان إلى أخر هو الدافع العلمي وحب المعرفة، حيث أراد أن يتزود بالمعرفة ويكتشف أشياء غير الأشياء التي عرفها في بلده أشياء تفيده ويستفيد منها غيره " **لست من علماء وطني ولا فلاسفته ولكني محب للمعرفة ومن أجل ذلك قمت بهذه الرحلة** "[2]، فرحلة ابن فطومة كانت بالدرجة الأولى من أجل تحصيل المعرفة وطلب العلم، متأملا أن يرجع بعد ذلك إلى وطنه مصلحا: " **أريد أن أعرف وأن أرجع إلى وطني المريض بالدواء الشافي** "[3]. يمكن أن نقول أن هناك أيضا دافع سياحي وثقافي في رحلة ابن فطومة، ذلك أنه انتقل من بلد إلى آخر، واكتشف ثقافات وعادات وتقاليد البلدان التي زارها، ولكن يبقى دافعه الأساسي من رحلته هو طلب المعرف، والرقي بنفسه وببلده إلى الأحسن، فهو يبحث عن سبب تطور البلدان الأخرى، للسير على خطاها، ونقل تجاربها إلى وطنه والسمو به إلى أعلى المراتب.

---

[1]- الرواية، ص 18.

[2]- الرواية، ص 82.

[3]- الرواية، ص 18.

5- الأبعاد الرمزية لرحلة ابن فطومة:

إن أهم ما يميّز أدب الرحلة عن غيره من الفنون هو التنوع والشمول، وهذا ما لاحظناه في رحلة ابن فطومة، إذ لم يعالج نجيب محفوظ موضوعا واحدا وإنما تطرق إلى موضوعات مختلفة، فقد تحدث عن ديانات الأماكن التي زارها وعن ممارساتها وطقوسها الدينية: " **أهل المشرق جميعا يعبدون القمر، وفي ليلة البدر يتجلى الإله في تمامه فيهرعون إلى الخلاء ويحيطون بالكاهن للصلاة** "[1]، كما تحدث أيضا عن العادات والتقاليد الغريبة التي صادفها، ومن بين هذه العادات الاحتفال الذي يقومون به من أجل الإله: " **هذه ليلة البدر... ليلة حضور الإله والعبادة، كان الناس من الرجال والنساء يزدحمون في كثافة هائلة في شكل دائرة ترك وسطها خاليا. كانوا ينتظرون عرايا وأجسادهم النحاسية تنضح بالعرق وتنفث في الجو رائحة الأدمية** ...."[2] .

أعطى نجيب محفوظ في كل فصول هذه الرحلة تصويرا دقيقا للواقع الذي كان يحيا فيه، وذلك بالإستعانة بالخيال، حيث لجأ إليه لتصوير واقع يستسلم فيه الأشخاص ويرضخون له بإرادتهم دون أدنى مقاومة، فوصف من خلال رحلة ابن فطومة حال المجتمعات التي تتبنى أنظمة معيّنة دون إعمال العقل فيما إذا كانت هذه الأنظمة ملائمة لحياتها وتطور مستواها الثقافي والاجتماعي أم لا، فوصف بواسطة الخيال أحوال الشعوب

[1]- الرواية، ص 29.

[2]- الرواية، ص 30.

الذين يعيشون كالعبيد، ويخضعون لأوامر الملك " **لكل مدينة سيد هو مالكها، يملك المراعي والماشية والرعاة، والناس عبيده، يخضعون لمشيئته نظير الكفاف من الرزق والأمن** "[1]. وبالإضافة إلى كل هذه الأمور التي خاض فيها نجد أيضا أنه تناول موضوع الحضارة والنظام وهذا بعد زيارته لدار الأمان واستغرابه من كونهم يعبدون الأرض رغم أنه كان يراها الدار الوحيدة التي عرفت الحضارة وتخلصت من الخرافات؛" **ولكن دار الأمان بحضارتها الباهرة كيف تعبد الأرض .. وكيف تبوئ عرشها رجالا منها فتنزله منزلة الملك الإله** "[2].

عالج ابن فطومة في رحلته هذه مواضيع مختلفة وهذا الاختلاف يعتبر ميزة من مميزات أدب الرحلة، فلا يمكن أن نصنف أي رحلة ضمن أدب الرحلة ما لم تتوفر فيها هذه الميزة.

6-<u>المظاهر العجيبة والغريبة في رحلة ابن فطومة</u>:

تتميز رحلة ابن فطومة بمظاهر عجيبة وغريبة ملفتة للانتباه مثيرة للدهشة، بغرض اثارة انتباه القارئ وبطريقة مبالغ فيها إلى مظاهر موجودة فعلا في الواقع، حيث أصبحت مع الوقت أمورا عادية يراها الناس يوميا ولا يثورون ضدها، ومن العجائب والغرائب التي أشار إليها أنّ الناس في دار المشرق يمشون في الخارج وهم مجردين من الثياب تماما ولا يخجلون من ذلك ولا يعتبرونه شيئ ملفت للنظر" **الناس في المشرق يمشون عرايا تماما كما ولدتهم**

[1]- الرواية، ص 28.

[2] - الرواية، ص 10 .

أمهم النساء منهم والرجال والعرى عادة مألوفة لا تلفت النظر ولا تثير اهتماما "[1]، وكان هذا المنظر أول ما صادف ابن فطومة في رحلته، وقد تعجب منه لأن في موطنه لا يسمح بمثل هذه الممارسات، وبعد أن أكمل رحلته وبمجرد التوغل في دار المشرق أدرك أن العري ليس هو الأمر الغريب فقط، وإنما لاحظ أن المشرق ليست كما يتخيلها أنها مدينة مكتظة مليئة بالحياة بل هي فارغة تشبه الصحراء لا حياة فيها وهذا ما أثار دهشته وقد صرح بذلك في قوله: " **أما الأمر الغريب الثاني فهو هذا الفراغ الممتد المترامي، كأنما انتقلت من صحراء إلى صحراء ، أهذه هي حقا عاصمة المشرق؟ أين القصور، أين البيوت، أين الشوارع ، أين الجواري ؟؟ لا شيء إلا أرضا تعلو جوانب منها أعشاب ترعاها الماشية ، وثمة تجمعات هنا وهناك من خيم تقوم على غير نظام، يتجمع أمامها نساء وفتيات يغزلن أو يحلبن البقروالماعز، وهن عرايا أيضا** "[2].

لقد وصف نجيب محفوظ ذلك المنظر بأسلوب يجعل القارئ يدرك مدا شدة استغرابه وتعجبه، فبمجرد قراءة ذلك النص ترى أن فيه نوع من الدهشة، وهي دهشة فيها نوع من الحسرة على ماضي الشرق العربي الذي كان مهدا للحضارة والعلم، حيث أنه استغرب من عدم حب أهل المشرق وحكامهم للعلم واهتمامهم الزائد بالمظاهر، كاهتمامهم بتعلم الفروسية ومعلومات تخص الإله، أما الأمور الأخرى فيضنون أنهم ليسوا بحاجة إليها وإذا احتاجوا إلى شيء يتطلب العلم مثل الطب يحضرونه من بلد أخر والشيء الغريب الذي أثر فيه أنه يتم

[1]- الرواية، ص 20.

[2]- الرواية، ص 20.

علاج أصحاب السلطة الذين يعيشون في القصر أما باقي الشعب فيتركون للطبيعة ليس لهم حق العلاج، " **لا يوجد طب و تعليم، أبناء السيد يتعلمون الفروسية و معلومات عن إله القمر وفي كل قصر طبيب وارد من الحيرة والحلبة أما الناس يتركون للطبيعة ومن يصيبه مرض يعزل حتى يبرى أو يموت فتأكله الجوارح**"[1]. تعجب ابن فطومة كثيرا من طريقة أهل المشرق في التعامل مع العلم والمعرفة، ووصل إلى نتيجة أن السبب وراء ذلك يكمن في افتقادهم للوعي .

ومن عجائبية الأمور التي صادفها ابن فطومة في رحلته هي العلاقات التي ليس لها قيود " **العلاقات في المشرق تمارس بلا أي قيود ما إن تعجب فتاة بفتى حتى تدعوه على مرأى ومسمع من أهلها** "[2]. تعجب ابن فطومة من ذلك ولم يعجبه الأمر، وبالإضافة إلى كون الفتاة هي التي تدعو الفتى إليها، إلا أنه هناك ما هو أكثر غرابة من ذلك وهو أن الفتاة لا يتم تزويجها وإنما يقومون ببيعها واستأجارها لمدة تتجدد مثلها مثل أي قطعة أثاث، ويعيدونها بمجرد أن ينتهوا من استخدامها، تعجب ابن فطومة كثيرا من هذا الشيء " **أعجب ما صادفني في المشرق علاقة الرجل بالمرأة** "[3]، فقد كان ابن فطومة في بلده يرى أن الفتاة يتم طلب يدها للزواج ثم تذهب بعد ذلك إلى منزل زوجها، لكن في المشرق ليس هناك ما يسمى زواج وإنما الفتاة بمثابة سلعة تباع وتشترى وتستأجر لمدة معينة، وقد اكتشف ابن

[1]- الرواية، ص 30.

[2]- الرواية، ص 36.

[3]- الرواية، ص 38.

فطومة ذلك بعدما أعجب بفتاة وعندما طلبها للزواج أخبره والدها أنه لا يمكن ذلك، بل يمكن أن يستأجرها فقط، لأن العلاقات في المشرق عابرة " **استأجرها لمدة تتجدد حتى تنتهي** "[1]، في حين تحدث أيضا عن عادات أخرى غريبة صادفها واندهش من وجودها ومن بين تلك العادات التي تعجب من وجود مثلها هي تلك المظاهرة التي رآها في طريقه وعندما سأل عن سببها أخبروه أنهم يطالبون بالاعتراف بشرعية العلاقات الجنسية الشاذة " **أما هذه المظاهرة فكانت تطالب بالاعتراف بشرعية العلاقات الجنسية الشاذة لم أصدق عيني ولا أذني ، وأيقنت بأني أطوف بعالم غريب** "[2] .

فهذا الأمر في نظر ابن فطومة غريب ولا يمكن تقبله ذلك أن دينه ومبادئه لا تسمح بمثل هذه العلاقات غير الشرعية، ولكن الأمر لم يتوقف هنا بل عرف بوجود أمر أخر غريب وهو أن الابن ينسب إلى أمه " **رام ابن عروسة، كأنما أنجبته وحدها ولا شأن لي به**"[3]، وقد اعتبر ابن فطومة هذا الأمر غريبا لأن المعروف عنده أن الابن ينسب لأبيه وليس لأمه.

واصل ابن فطومة حديثه عن الأمور العجيبة والغريبة التي صادفها ومن بينها وصفه للاحتفال الذي شاهده في دار المشرق حيث قام سكان هذه المنطقة ذات ليلة باحتفال كبير في الخارج، وكان ذلك من أجل الإله فهم يعبدون القمر وفي ليلة البدر يخرج الجميع إلى

---

[1]- الرواية، ص 40.

[2]- الرواية، ص 73.

[3]- الرواية، ص 40.

الخارج وهم عراة الجسد، يغنون ويرقصون حتى أنهم يسكرون وذلك كله من أجل الترحيب بالإله " **وكان الناس من الرجال و النساء يزدحمون في كثافة هائلة في شكل دائرة ترك وسطها خاليا . كانوا ينتظرون عرايا وأجسادهم النحاسية تنضح بالعرق وتنفث في الجوار رائحة آدمية مثيرة** "[1].

تعجب ابن فطومة من هذا الاحتفال الغريب وكان بمثابة صدمة له فلم يكن يتوقع كل هذا الجهل والكفر، فأخذ يسأل هل ينتظرون الجنة بكل هذه الأمور التي يقومون بها إن هذا لشيء عجيب.

وكان آخر شيء غريب صادف ابن فطومة في رحلته هو النظام الغريب في دار الأمان، وهي أول دار لا تعرف الفرق بين الفقير والغني لأن جميع الناس فيها سواسية، حيث ينص هذا النظام على أن الجميع يجب أن يعمل رجالا ونساء، فكل واحد يصل إلى سن العمل يعمل وليس هناك عاطل، إلأ المسنين والأطفال الصغار الذين يبقون في حدائقهم "**الجميع يعملون، ولا يوجد عاطل، ولا توجد امرأة غير عاملة، أما العجائز والأطفال فسوف تراهم في حدائقهم** "[2]، تعجب ابن فطومة لوجود مثل هذا النظام بعدما كانت البلدان الأخرى التي مر بها القوي فيها يأكل الضعيف، لم يكن هذا النظام هو الشيء الوحيد الذي تعجب منه ابن فطومة، بل ذكر نظام أخر موجود في هذه الدار ينص على أن كل واحد يهتم

[1]– الرواية، ص 30.

[2] – الرواية، ص 101.

بشؤونه ولا يتدخل في أمور لا تخصه ومن تجرأ وتدخل سيكون جزاءه الإعدام " **نظامنا يطالبنا بألا يتدخل إنسان فيما لا يعنيه وأن يركز كل فرد على شؤونه، فالمهندس لا يجوز أن يثرثر في الطب ، والعامل لا يجوز أن يخوض في شؤون الفلاح ، والجميع لا شأن لهم بالسياسة الداخلية أو الخارجية** "[1]، الشيء الذي تعجب منه أبن فطومة هو أن الحرية الفردية جزاءها الإعدام .

كل هذه الأمور التي ذكرها ابن فطومة على أساس أنها عجيبة وغريبة لم يكن يعرفها ولم يسبق له أن رآها، لذلك بمجرد أن صادفها تعجب واستغرب ولاحظ أن هناك فرق كبير بين بلده وتلك البلدان التي زارها خاصة في العادات والتقاليد وهناك أيضا فرق في الديانات.

لقد عالج نجيب محفوظ من خلال سرده للأحداث ووصفه للأمكنة وبطريقة فلسفية موضوع القيم وعلى كل الأصعدة، اجتماعيا، ثقافيا، وسياسيا، من خلال تصويره للواقع المعاش وتصوره لواقع متوقع وواقع يحلم بأن يكون عليه موطنه مستقبلا.

7-عجائبية وغرائبية المكان بين الخيال والواقع:

صادفت ابن فطومة في رحلته عدة أماكن شدت انتباهه وأسرت خياله، منها الحديقة الغريبة التي تدعى بحديقة الشيوخ، حيث وصف جمالها وجمال مناظرها الطبيعية الخلابة، فلم يترك مكان في تلك الحديقة إلى ووصفه، وأثناء قراءتنا لهذا الوصف نجد أن هناك نوع

[1]- **الرواية، ص 110.**

من التعجب والاستغراب يظهر في قوله " **حديقة مترامية، يبلغها القاصدون فوق جسر كبير مقام على نهر عريض، لم أشهد حديقة في اتساعها وتنوع أشجارها وأزهارها: إنها حديقة من طعن بهم السن فيما وراء مرحلة النشاط والعمل، رأيت الطاعنين في السن من الجنسين، يجدون في الحديقة مرتادا للنزهة، وملاعب رياضية خفية، ومجالس للسهر والغناء. إنه نظام حسن ورعاية إنسانية لم أجد لها مثيلا في الدور السابقة** "[1]. فمن خلال كلامه هذا وطريقة وصفه لهذه الحديقة يتبين لنا مدا عجائبية المكان، ثم يذكر بعد ذلك حديقة الصغار " **مترامية الأطراف كأنها دار مستقلة مكتظة بسكانها ما بين الطفولة والصبا، وبها ملاعب لا حصر لها، وأركان للدراسة والتربية ، ومربون ومربيات** "[2]، تعجب ابن فطومة من وجود مثل هذه الحديقة التي يتم فيها تربية الأبناء بعيدا عن حنان الوالدين وذلك بسبب انشغالهم في العمل طوال اليوم بينما يتم تربية اولادهم في تلك الحديقة من قبل مربين ومربيات .

ثم يواصل عملية الوصف فيتحدث عن جنة الغائبين، وهي غابة يتواجد فيها الغرباء، حيث يوجد فيها شيخ يقصده الغرباء حتى يقوم بتدريبهم ليصلوا إلى دار الجبل، وصف ابن فطومة هذا الشيخ بقوله " **شيخا عاري الجسد إلا مما يستر العورة كأن هالة من نور تحدق بوجهه الوضيء وعينيه الجذابتين** "[3]، كان هذا الشيخ يعلمهم الغناء وكان هؤلاء المتدربين

---

[1]- الرواية، ص 102.

[2]- الرواية، ص 103.

[3]- الرواية، ص 115.

لا يكلمون أحد حتى السلام لا يردونه وذلك بأمر من الشيخ، حيث قال " **حياتهم هنا موافقة للحق ومفارقة للخلق** "[1]، فهذه الغابة ليست كباقي الأماكن وصفها ابن فطومة بالجنة نظرا لما يتواجد فيها من خيرات " **أسير فوق أرض معشوشبة، نثرت على أديمها أشجار النخيل والفاكهة، تتخللها عيون مياه وبحيرات**"[2]، وإنما هي مكان عجيب مختلف عن الأماكن الأخرى.

تتميز رحلة ابن فطومة بأمكنة وهمية لا وجود لها إلا في خيال الكاتب، فقد انطلق في روايته من عالم الواقع الذي كان يعيشه إلى عالم الخيال الذي صنعه، عالم مليء بالعجائب والغرائب، حيث يظهر خياله في وصفه لبعض الأماكن، وقد كان أول مكان وصفه هو دار الجبل " **كأنه معجزة البلاد، كأنها الكمال الذي ليس بعده كمال لم أصادف في حياتي آدميا ممن زاروها ولا وجدت كتابا عنها أو مخطوطا** "[3]، ويكمن الخيال في هذه الدار العجيبة التي لم يستطع أحد الوصول إليها في وصفه لها أنها معجزة البلاد، فلم يكن هذا المكان موجود إلا في خيال الكاتب، حيث شبهها بالجنة وأنها دار العدل والمساواة، إذ رأى أنّها الدار الوحيدة التي يمكن أن تشفي بلده المريض.

توسعت دائرة خيال الكاتب في حديثه عن كل الأماكن التي مر بها، بما في ذلك تسمياتها الغريبة من قبيل:(دار المشرق، دار الحيرة، دار الحلبة، دار الأمان، دار الغروب) وهي أماكن غير موجودة في الواقع وإنما من صنع خيال الكاتب.

---

[1]- الرواية، ص 116.

[2]- الرواية، ص 114.

[3]- الرواية، ص 26.

تستنتج مما سبق أن رحلة ابن فطومة رغم خياليتها التامة وعجائبيتها وغرائبيتها لا تبتعد كثيرا عن الواقع، هذا الواقع الذي يختبئ وراء كل عجيب وغير معقول، من خلال رمزيتها بواسطة التصوير المتقن الذي يجعل القارئ يستمتع بما يقرأ وفي نفس الوقت يعمل عقله في استنتاج البعد الحقيقي لأحداث الرحلة وغرض الكاتب من عرضها بهذه الطريقة المختلفة، بحيث يعرض الداء ويصف الدواء الذي يرى أنه الأنسب، وذلك بالكشف عن بعض الخلل الموجود في علاقة الناس بعضهم ببعض، وفي أخلاقهم وتصرفاتهم، حيث يُقارن نجيب محفوظ أحوال الكثير من المجتمعات وقوانينها التي يرضخ لها شُعوبها، واصفا طابع الحضارة بكلّ مدينة ذكرها، ليتَنقل بين الطابع الجاهلي إلى الطابع الغربيّ المُتحرر مُرورًا بالطابع الشّيوعي الشّموليّ إلى الطابع الصوفي والزهد في الحياة، فكان ينتقل بكلّ سلاسة بين وصف نظام الحُكم والحياة السياسية، ومنها إلى العُمران، ثم الجانب الروحاني والمُمارسات الاجتماعية، ولم يتجاهل الجانب الشهواني وطُقوس الزواج، والبلاد الستة التي ذكرها ما هي إلا محطات الرّوح الحائرة التي تبحث عن النجاة بعيدًا عن التضليل، وسعيًا لإجابة العقل عن تساؤلاته.

خـــــاتـــــمـــــة

توصلنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط الآتية:

– أدب الرحلة نوع من أنواع الأدب الذي يصور فيه الكاتب الأحداث بطريقة مشوقة ومسلية، وفي نفس الوقت يعطي معلومات مفيدة في شتى الميادين كالعلوم والثقافة والسياسة والعادات والتقاليد، إذ ينقل من خلاله تجارب البلدان، ليستقي منها القارئ ما يطوره ويزيد من شأنه ويترك ما يضعفة وينقص من قيمته.

–. خاضت رحلة ابن فطومة في مواضيع مختلفة ما جعلها تتسم بالتنوع والشمول، وهذه ميزة لا نجدها إلا في أدب الرحلة .

– تتمحور الرواية حول موضوع أساسي يتمثل في ثنائية الجهل والمعرفة، حيث بهما يمكن للأوطان أن تحدد مكانتها وذلك بترجيحها لكفة على أخرى، فإذا رجّحت كفة الجهل نزلت بنفسها وبشعبها إلى أسفل السافلين وإذا رجّحت كفة العلم سمت بنفسها وبشعبها إلى عليين.

– ما يميز هذه الرواية هو واقعيتها التي تختبئ وراء الخيال، حيث يُقارن نجيب محفوظ من خلالها أحوال الكثير من المجتمعات وقوانينها التي يرضخ لها شُعوبها، واصفا طابع الحضارة بكلّ مدينة ذكرها، ليتَنقل بين الطابع الجاهلي إلى الطابع الغربيّ المُتحرر مُرورًا بالطابع الشّيوعي الشّموليّ إلى الطابع الصوفي والزهد في الحياة، فكان ينتقل بكلّ سلاسة بين وصف نظام الحُكم والحياة السياسية، ومنها إلى العُمران، ثم الجانب الروحاني والمُمارسات الاجتماعية، ولم يتجاهل الجانب الشهواني وطُقوس الزواج، والبلاد الستة التي

ذكرها ما هي إلا محطات الرّوح الحائرة التي تبحث عن النجاة بعيدًا عن التضليل، وسعيًا لإجابة العقل عن تساؤلاته.

– اتسام الرواية بالموضوعية، حيث تظهر موضوعية نجيب محفوظ أثناء عرضه لأحداث الرحلة، إذ أنه لم يشر إلى ذاتيته أبدا ، فكل الأحداث كانت منسوبة إلى الشخصية الرئيسية المتمثلة في ابن فطومة.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر و المراجع :

1 . إبراهيم مصطفى و آخرون : معجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ،2004مادة روى.

2 . ابن حامد محمد بن محمد الغزالي ك إحياء علوم الدين ، ط 1 ، دار ابن حازم لطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،

3 . أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، ط 1 ، دار الجبل، بيروت ، لبنان ، 1991 .

4 . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

5 . أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثر القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ط1 ، دار ابن حازم لطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ج 4 .

6 . أحمد بن محمد بن علي القومي المقري : المصباح المنير ، ط 1 ، دار الحديث،القاهرة ، 2004 ، مادة روى .

7 . أحمد رمضان أحمد : الرحلة و الرحالة المسلمون ،د ط ، دار البيان العربي ،جدة ،دت.

8 . إسماعيل بن أحمد الجوهري : تاج اللغة العربي الحديث ، ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

9 . أغناطيوس يوليانتشوفيتش كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 .

10 . أمينة يوسف : تقنية السرد في النظرية و التطبيق ، ط 1 ، دار الحوار لنشر ، سوريا ، .

11 . الجرجاني : معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة محمد صديق المنشاوي ، د ط ، دار الفضيلة ، مصر ، 1412 .

12 . الحسين الحايل : الخيال أداة للإبداع ، ط 1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1988 .

13 . السعيد الورقي : اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، د ط ، دار المغرفة الجامعية ، مصر ، 1995 .

14. الرازي محمد بن بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، د ط ، دار الجبل ، بيروت ، 1987 .

15 . الزمخشري جار الله أبي القاسم بن يعقوب بن محمد بن عمر : أساس البلاغة ، ط 1 ، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، 2006 .

16 . السيد حامد النساج : مشوار كتب الرحلات (قديما و حديثا) ، د ط ، مكتبة الغريب ، القاهرة ، د ت .

17 . تزفتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي ، تر : الصديق بوعلام ، ط 1 ، دار

الكلام ، الرباط ، 1993 .

18 . جابر عصفور : الخيال أسلوب الحداثة ، ط 2 ، المركز القومي لترجمة ، القاهرة ، 2009 .

19 . جبران مسعود : الرائد معجم لغوي عصري ، ط 2 ، دار المعلم للملايين ، بيروت ، 1997 .

20 . حسين علام : العجائبية في الأدب ، ط 1 ، الدار العربية للعلوم و الناشرون ، بيروت ، لبنان ، 2010 .

21 . حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ، د ط ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، ع 138 ، الكويت ، 1989 .

22 . حميد الحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2003 .

23 . رغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد الكلاني ، ط 1 ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1967 .

24 . رفيق رضا صيداوي : الرواية العربية بين الواقع و التخيل ، ط 1 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2008 .

25 . رولان دورون و فرانسواز بارو : موسوعة علم النفس ، تر : فؤاد شهين ، ج 1 .

26 . زكريا محمد القزويني : عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ، قدمه و حققه ،

فاروق سعد ، ط 2 ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1997 .

27 . سعيد بن سعيد العلوي : أوروبا في مرآة الرحلة ، صورة أخرى في أدب الرحلة المغربية المعاصرة ، ط 1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1995 .

28 . سعيد يقطين : الكلام و الخبرة مقدمة السرد العربي ، ط 1 ، المركز الثقافي ، بيروت، 1997 .

29 . شعيب حلفي : شعرية الرواية الفنتاستيكية ، د ط ، دار الاختلاف ، الجزائر،2009 .

30 . شوقي ضيف : الرحلات ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت .

31 . صلاح إبراهيم : الفضاء و لغة السرد في رواية عبد الرحمان منيق ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2002 .

32 . صلاح الدين الشامي : الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ، في الكشف الجغرافي في الدراسات الميدانية ، د ط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999 .

33 . صلا ح مفقود : أبحاث في الرواية العربية ، ط 1 ، مخبر أبحاث في اللغة و الأدب ، الجزائر ، د ت .

34 . عاطف جودة نصر : الخيال مفهوماته و وظائفه ، د ط ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتابة ، 1984 .

35 . عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي : الرحلة و أنواعها و أدبها ، ط 1 ، مكتبة الدار العربية للكتابة، القاهرة ، 1992 .

36 . عبد الرزاق موافي : الرحلة في الأدب العربي ، ط 1 ، كلية الأدب ، جامعة القاهرة ، 1991 .

37 . عبد الله إبراهيم : السردية العربية (بحث في البنية السردية الموروث الحكائي العربي) ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2002 .

38 . عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنية السرد) ، د ط ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، كويت ، 1998 .

39 . عواصف محمد يوسف نواب : الرحلة المغربية و الأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين ، دراسة تحليلية مقارنة) ، د ط ، مكتبة الملك فهد الوطني ، الرياض ، 1996

40 . فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي ، ط 2 ، مكتبة الدار العربية للكتابة ، القاهرة ، يوليو 2000 .

41 . كمال أبو ديب : الأدب العجائبي و العالم الغرائبي في كتاب العظمة و فن السرد العربي ، ط 1 ، دار الساقي ، بيروت ، ودار أوركس ، إسطنبول ، 2007 .

42 . مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي : قاموس المحيط ، د ط ، دار الحديث ، القاهرة ، 2008.

43 . مجد وهيبة ، كمال المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، ط 2 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د ت .

44 . محمد بن عثمان المكناسي : الأكسير في فك الأسير ، تح : محمد علي الفاسي ، دط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965 .

45 . محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي : تاج العروس من مجوهرات القاموس ، ج2 ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007 .

46 . مخلوف عامر : الرواية و التحولات في الجزائر ، د ط ، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، دمشق ، 2000 .

47 . نجيب محفوظ : رحلة ابن فطومة ، ط 2 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2008

48 : نوال عبد الرحمان شوابكة : أدب الرحلة الأندلسية و المغربية (حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري) ، د ط ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، د ت .

49 : وسيني الأعرج : إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتابة ، الجزائر ، 1986 .

ثانيا / المجلات :

1 . إنجيل بطرس: الرحلة في الأدب الإنجليزي ، مجلة الهلال ، ع 7 ، 1975 .

2 . السيد حامد النساج : أداب الرحلات في حياتنا الثقافية ، مجلة العربي ، كويت ، يناير ، 1987 .

3 . بوابة فرنسا : تاريخ الأدب الفرنسي في العصور الوسطى ، الموسوعة العربية الشاملة مجلة المعرفة ، العدد 1 ، بتاريخ ، 13 . 4 . 2009 .

4 . سحر شكيب : البنية السردية و الخطاب السردي في الرواية ، مجلة الدراسات في اللغة العربية و أدبها ، فصيلة محكمة ، العدد 14 ، 2013 .

5 . سميرة أنساعد : الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 24 أزار 2005 .

6 . مجلة المخبر : أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكر ، الجزائر ، العدد الثامن ، 2012 .

ثالثا / المذكرات:

1 . عبد الصمد عزوزي : الرحلة في المغرب العربي (أنواعها و أغراضها و روادها) ، مذكرة الماجستر ، جامعة أبي بكر ، تلمسان ، 2003 .

رابعا / المواقع الإلكترونية :

1.نجيب محفوظ httpsa.M.wlklpedla.org

الفهرس

الفهرس

الشكر و العرفان

الإهداء

المقدمة ..... أ .ب. ت.ث
المدخل : الرواية بين المفهوم و النشأة ..... 6 . 18
الفصل الأول : الرحلة و أدب الرحلة (المفهوم و المصطلح)
مفهوم الرحلة ..... 20 . 22
الرحلة قبل وبعد الإسلام ..... 23 . 27
أسباب تدوين الرحلة 27
دوافع الرحلة ..... 28 . 31
أهمية الرحلة..... ..... 31 . 33
أنواع الرحلة ..... 33 . 36
أدب الرحلة..... 36 . 38
أسس و مميزات أدب الرحلة ..... 39 . 40
الواقع و الخيال ..... 40 . 41
العجائبي و الغرائبي ..... 42 . 51
الفصل الثاني : الواقع و العجائبي في رحلة ابن فطومة

تقديم الرواية..... 53 . 55
عتبة الغلاف و العنوان..... 55 .56
شخصيات رواية ابن فطومة ..... 57 . 59
بنية الرواية..... 59 . 63
حركية السرد في الرواية..... 63 . 66
الدافع وراء رحلة ابن فطومة 66

الأبعاد الرمزية لرحلة ابن فطومة ..... 67 . 68
المظاهر العجيبة و الغريبة في رحلة ابن فطومة ..... 68 . 73
عجائبية و غرائبية المكان بين الخيال و الواقع ..... 73 . 76
الخاتمة ..... 78 . 79
قائمة المصادر و المراجع ..... 81 . 88
الفهرس..... 90 . 91

ملخص أدب

الرحلة فن أدبي قديم عرف في الماضي ينقل من خلاله الرحالة أو الكاتب عادات وتقاليد وأعراف الشعوب التي تعايش معها وكل المواقف التي تعرض لها أثناء رحلته، ومن بين هذه النماذج "رحلة ابن فطومة" المليئة بالعجائب والغرائب الرمزية في أبها صورها، حيث نقل فيها كل ما صادفه وإحتك به من أمور عجيبة خارقة للعادة، ومن الأشياء التي وصفها في رحلته العجائب والغرائب التي صادفته في رحلته، وفي دراستنا هذه توقفنا عند بعض المواطن ذكرها ابن فطومة وأثارة دهشته لما فيها من أشياء غريبة .

الكلمات المفتاحية : أدب الرحلة ، العادات ، التقاليد ، العجائبية ، الغرائبية .